



رواية

المنشد

جيهان محمد



المنديل

الإهداء

إلى مَنْ لا يُحصى الثناء عليه.

إلى مَنْ تُصبح الأحلام معه حقيقة.

إلى مَنْ عنده كل شيء هَيِّن.

إلى الذي لم أَلجأ إليه يوماً إلا، وأحاطني برحمته.

سُبْحانَكَ رَبِّي.

المنديل

1987 طفولة بريئة

- حاليًا السب.

كانت الصرخة موجهة لسائق سيارة 132 حمراء، من بائع خضار متوقف على جانب الطريق، في حي شعبي من أحياء القاهرة الكبرى، وفي نفس اللحظة! توقفت سيارة نصف نقل، وأخرج السائق رأسه من نافذة السيارة وانهاled بالسباب، وفي أثناء توقفه المفاجئ! وقع ثلاثه أطفال في منتصف الطريق، ومن بينهم (ندى) ذات العشرة أعوام.

طفلة جريئة بريئة الملامح، وجهها لا يُظهر مدى شقاوتها، وعيناها الواسعة، وشعرها القصير المنسدل دائمًا الذي يميزها عن باقي أقرانها ولون بشرتها الخمري عندما تنظر إليها تشعر بالجمال العربي، ولكن براءتها تختفي في أغلب الأحيان.

لم ينتبه الأطفال أن حياتهم كادت أن تنتهي لولا بائع الخضار.

صرخت ندى بغضب وألم، خرجت منها الجملة مغلقة بالألم:

- إيه الرخامة دي؟

كان هذا رد فعلها، عندما نزلت يده على كتفها بعنف وحنان معًا.

أوقفها ونظرت له بحب وخجل، إنه هو بوسامته الصارمة وملامحة القاسية، وطيبة قلبة التي تظهر في عينيه والأمان الذي تشعر به عندما تنظر للحيته البيضاء، وجلبابه المنمق دائمًا.

قالت بصوت لا يكاد يسمع:

- جدو محمد.

أو كما يلقبه الجميع "عم محمد" ولمن لا يعرفه فهو رجل في أواخر الستينيات، صاحب محل لبيع الأبواب والشبابيك ملاصق لبيتها، وله في القلوب محبة، وفي العيون هيبة، يحب الجميع ويعامل الكل كأبنائه.

في غضب شديد نظر إليها وقال في حزم:

- انتِ يا زفته أنا مش قولت لك، قبل كده متتشعبطيش في العربيات تاني إفرضى اتعورتى، ولا كانت العربية خبطتك كنت هتموتى يا حيوانه، ربنا ستر.

لفت انتباهه أنها حافية القدمين، فزاد غضبه وعلا صوته، وقال بحدة:

- وكمان حافية! يلا يا جزمة على البيت، اطلعي ذاكري ولا اعلمي أي حاجة مفيدة.

وأشار بأصبعه من أول رأسها إلى قدميها باشمئزاز:

- ولو شفتك بالمنظر دة تاني هضربك.

وجّهت نظرها للأسفل من كم الغضب بداخلها، لأنها عنيذة ولا تنصاع للكلام وللنصائح بسهولة، وهذا السيل من الإهانات ألمها بشدة، لكن الألم الأكبر، أنها أغضبتة لأنها تحبه بشدة، وبرغم صغر سنها فأنها تشعر بنظرة المحبة والود وتشعر بانقباض في قلبها الصغير لو النظرة شريرة وخالية من المودة يوجد مؤشر داخلي يرتفع ويهبط مع المشاعر لا يتحكم به السن.

هرولت مسرعة على السلم يملؤها الخوف من تخيلها لو أن نادية شاهدت ما حدث ستصبح في خبر كان.

لكنها حمدت الله عندما فتحت أمها الباب، ولم تقم بالتعليق فاطمأنت، وبعد دخولها المنزل بدقائق، بدأت نادية بالصراخ.. حينما وقع نظرها على وجهها المليء بالأتربة وملابسها المتسخة وقدمها الحافية، هنا بدأ سيل آخر لكن ليس مثل "جدو محمد".

"يا نهاري دي ماما.. آااه بدأنا!"

هذا ما دار في نفسها عندما بدأت أمها الوصلة الدائمة..

- بقيتي شبه بتوع الشوارع أنا هموتك.

تسمّرت في مكانها عندما تذكّرت الخرطوم, وكم
تؤلّمها ضرباته.

قالت نادية بحزم, وذهنها يبدو مشغولاً:

- يلاً عشان هنروح لطنط منى نبارك لها.

ردّت عليها بفرحة:

- هنبارك لها على إيه يا ماما؟

قالت, وهي ما زالت مشغولة في ترتيب الحجرة:

- أصل بنتها اتشهرت.

وقفت في تجهم ونظرة بلاهة شديدة وأجابت:

- اتشهرت يعنى إيه؟

ردّت نادية بصوت مرتفع يدل على نهاية الصبر:

- لما تكبري هتعرفي، يلاً ادخلي الحمام، منظرِك ده ينضف حالاً.

وقفت ندى أمام المرآة لتجد خطًا من الأتربة، أسفل أنفها فابتسمت متخيلة أنه شنب مثل الصبيان، وفي رد سريع:

- خلّصت يا ماما.

لأنها إذا تأخرت أكثر من ذلك ستتلقى العلقة المعتادة.

دخلت غرفتها هي وأخوها؛ نعم لها أخ وحيد، وهو أيضًا شقي جدًا يشبها تقريبًا في كل شيء، لكنها تحبه برغم ضربها له، وأخذ مصروفه لأنه الأصغر.. "نعم نصابة صغيرة"، ودائمًا تحمد الله لأنها الأكبر ولو كان العكس كانت ستصبح كارثة.

انتهت من ارتداء الفستان الأزرق ذي الكمين القصيرين؛ لأنها لا تحتمل حرارة الصيف الشديدة، وهذا الفستان

مميز بالنسبة لها فقد كانت ترتديه ممثلة في فلم هندي، فطلبت من أمها أن تصنع لها مثله، فأما سيدة مميزة في أواخر العشرينيات جميلة ورشيقة وقوية الشخصية، ويقال عنها إنها بمائة رجل؛ لأنها وحيدة مع أبنائها، زوجها يعمل في دولة عربية لكي يُحسن دخلهم المادي.

أما نادية تعمل في مصنع للملابس لكي تساعد في احتياجات المنزل مع زوجها لكي تجعل أطفالها مميزين بقدر الإمكان، وإلى أن يتحسن الوضع.

وقفت ندى أمام نادية وبنظرة إعجاب:

- أيوه كدة شفتي قمر إزاي يلاً بينا.

قالت ندى في إلحاح:

- مش هاتقولي ليا يعني إيه اتشهرت؟

ردّت نادية بنبرة انفعال:

- تاني مافيش فايده فيكي لمضة, وشقية.. نادى
أخوكي يلاً بسرعة.

توجهوا إلى محل صغير بجانب البيت، أحضروا منه
زجاجتي شربات، ووصلوا إلى منتصف الشارع، ومنه
لمنزل منى؛ لأنها تسكن بالقرب منهم.

عندما تقترب من الشارع الذي تسكن به منى ينتابك
شعور غريب تجاه هذا الشارع الصغير، فهو يحثُّ قلبك
على الانقباض، ويملاً النفس بعدم الراحة، ليس به
أطفال تلهو وتلعب أو مارة أو محال، من الأفضل أن
يطلق عليه شارع بلا روح.

توقفوا أمام منزل مكون من أربع طوابق وفي الطابق
الثاني، قامت ندى بالطرق على الباب.

فتحت منى، والابتسامة تملأ وجهها النحيل، قامت
باحضان نادية بمودة، إنهم أصدقاء منذ بضع سنوات
برغم أن منى أكبر من نادية، إلا أن نادية تتعامل معها

دائمًا باحتواء؛ لأن انتظارها لليوم الموعد الذي تنتظره كل بنت طال عليها.. إلى أن أطلق عليها الجميع اللقب المميت (عانس) إلى أن جاء فجأة بدون سابق إنذار العريس المنتظر، أرمل وله طفلان؛ منال 13 عامًا وعادل 12، وليس به أي مميزات واضحة حتى تقبل به أو بظروفه الصعبة، إلا أن خوفها من تكلمة حياتها بعار العنوسة كما غرستها العادات والتقاليد في أفكار أغلب الناس في المجتمع العربي لم يكن الخوف من الوحدة ما يحركها بل الخوف من كلام الناس عنها.

نظرت ندى إلى منال، شعرت أنها تحمر خجلًا، وليست على طبيعتها وتتعامل بتردد.

لم تهتم لأن عندها تحذيرًا شديد اللهجة بأن تكون بنتًا مؤدبة ومطبعة، وفي دقائق خرجت من المطبخ تحمل أطباق مهلبية للجميع، نظرت ندى إلى أخيها وإلى الأطباق باشمزاز ودار حوار جانبي بتهكم هي وأخيها؛ لأنهم لا يحبون المهلبية وكادت تخرج الكلمات من فمها إلى أن وجدت نظرة حادة من نادية تقول:

"إوعي تمطقي بحرف.. هموتك"

وبدا حوار بين منى ونادية بصوت هامس ثم نظرت منى إلينا وقالت:

- خديهم يا منال خليهم يلعبوا في الصالة.. مبروك لمنال بسم الله ما شاء الله اتشهرت بدري.. فهمتيتها تعمل إيه؟ وطمنتيتها عشان متخضّش أصلها صغيرة يا حببتي، ويا حرام يتيمة محدّش عرفها حاجة خلي بالك منها وحتي عليها، أنا عارفة إنك عصبية وشديدة شوية في التعامل، لكن معلى خديها على الحنين هتاخدي ثوابها ياختي، وعقبال ماتشوف فيها عروسة يا رب.

ردّت منى بانفعال:

- بحاول والله بس ساعات بتجئني.

قالت نادية في هدوء:

- كلهم كده برضه عيال.. او عي تفتكري إنها عشان استوت, وكبرت.. لأ صغيره برضه.

لم تهتم منى, بالكلام وقالت بلهفة:

- المهم أنا عايزاكي في موضوع.

ردت نادية:

- أنا حاسه إن فيكي حاجة باين عليك من ساعة ما دخلت.. خير يا حبيبتى؟!!!

- إنت عارفة إن جوازي جه فجأة, وليه سبب محدش يعرفوا بس أنا مش قادره أخبّي عليك أكثر من كده.. أمانة عليك ميطلع بره, ويفضل بنا.

ردت نادية:

- عيب عليك إحنا إخوات.

- أنا روحت لشيخ من بتوع ربنا لأنني يأست, والكل بيعاملني على أنني عانس, وبيموتوني بنظرة الشفقة

من الأهل ونظرة الشماتة والإهانة من الغريب كأني قليلة أو فيا عيب، وفي يوم خالتي جات البيت، وخادتني على جنب وقالت: يا بنتي انا بسمع عن شيخ كويس بيقولوا إنه بيساعد الناس ومش بياخذ فلوس من حد يعني مش نصاب يادوبك بياخذ حق الطلبات بس، ومش هنخسر حاجة لو جرّبنا يمكن ربنا بيعت على إيده ابن الحلال، ولو محصلش يبقى كله بتاع ربنا واديننا لو مكسبناش مخسرناش...

المهم رحنا عنده عارفه أول ما تشوفيه.. قلبك ينشرح وقبل ما أنطق حط إيده على طرحتي، وقال: إن شاء الله قرّب معادك أول ما يكمل القمر الثاني هتكوني عروسة.

طبعا أنا تتحت إزاي عرف، واحنا أول مرة نشوفه وميعرفناش.

وقام كتب اسم أمي في ورقة وطلب شوية حاجات اشتريها من العطار ومخدش ولا مليم، المهم رحت أودي الطلبات قالي استني شوية ومافيش نص ساعة

واداني ست ورقات, وقالى أصوم 13، 14، 15 من الشهر العربي, وأنقع كل يوم ورقة وأشربها على الفطار, والثانيه على السحور, وبعد أذان المغرب في اليوم الثالث جه العريس, واتجوّزت فعلاً في اكتمال القمر الثاني زي ما قال بالظبط, والحظ إن إحنا سكتنا جنبه, وطلع راجل طيب أوي, وخوفت أقول لحد ليفتكروني بتاعت أعمال, لكن إنتِ أختي وحببتي.

ردّت نادية في شرود, وهي تحدّث نفسها:

- الناس دي بتاعت ربنا بجد, ولا بيأذوا ربنا يحفظنا..يا حببتي المهم الستر وراحة البال ربنا يسعدك.

وفي نظره تائهة في عين منى, وتردّد واضح في الكلام شعرت بها نادية فقالت لمنى:

- في إيه عايزه تقوليه, وقلقانه.. قولي على طول.

- بصراحه ياختي.. أص.. أصل الشيخ محتاج ندى!!

- ندى.. بنتي؟

- أيوه.

هنا قامت نادية من مكانها, وكأنها فوهة بركان من نار,
وبحدة قالت:

- وعايزها في إيه إن شاء الله, وهو يعرف بنتى منين?
لحد هنا ومفيش كلام, كله إلا أولادي يا منى أنا ماليش
غيرهم في الدنيا, إنتِ ليه كده!

عامّةً أنا عملت الواجب, وكتر خيرك.. يالاً يا ولاد.

لم تُفكر أن تسمع السبب.

- استتني بس اسمعيني اصبري بلاش عصبية إديني
فرصة.

كانت منى تحاول جاهدة أن توقفها لكي توضح لها أو
تبرر الموقف, ولكن لا حياة لمن تنادي.. فتمسكت منى
بالأولاد:

- طيب ياكلوا المهلبية.

قالت نادية في غضب, وكأنها تريد أن تزيد عليها,
العقاب:

- مش بيحبوها أساسًا.

عادوا إلى المنزل, وظلت ندى تفكر لمّ كل هذا الغضب,
والانفعال, ماذا حدث؟.. لم تهتدِ لشيء بعقلها الصغير.

انتهى اليوم, والكل في نوم عميق, إلا نادية تذهب بها
الأفكار وتأتي.. ماذا يريد هذا الرجل من ابنتي؟,
وكيف سمحت له منى أن يفكر بها؟ أنها تعتبرها كأخت
لها, ومن كثرة التفكير وعدم وجود إجابة تريح قلبها
خلدت للنوم من شدة التعب.

في الصباح قامت ندى بكسل, وتملّ.. انتهت من لبس
المريلة البيج والبنطلون البنّي, زي أغلب المدارس في
هذا الوقت.

قالت نادية بصوت مرتفع:

- يالآ يا ولاد الشأى باللبن.

أخذت يد أخاها بيدها الصغيرة, واتجهوا إلى المدرسة, وبدأ انشغال نادية في تجهيز الطعام وترتيب المنزل, لكي تذهب إلى المصنع الذي تعمل به ثلاثة أيام في الأسبوع.

رنَّ الهاتف في الشقة المقابلة لهم.. ردَّ أحمد على التليفون, وقال للمتحدث:

- لحظة.

ثم سمعت نادية طرقات على الباب ففتحت, وجدته أحمد ابن الجيران, وقال في استعجال لعلمه إنها مكالمة دولية:

- عمو خالد على التليفون.

فاتجهت مسرعة, والتقطت السماعة, ونظرت لأحمد بخرج.. فاتجه إلى الخارج.

وكان الأخير يرمقها بنظرة يخبرها بها أنه تفهم أنها تريد أن تكون بمفردها.

قالت بلهفة:

- عامل إيه يا حبيبي؟ إنت كويس؟ وحشتنا يا خالد، والولاد نفسهم يشوفوك.. هتيجى إمتى؟

لم تَظَلْ المكالمة وانتهت إلى خناقة زوجية، فخرجت تبكي، ولم تذهب للعمل، وظلت على هذه الحالة إلى أن انتهى اليوم الدراسي وعادت ندى، واتجهت إلى محل جدو محمد وقالت:

- أنا هطلع أذاكر على طول يا جدو، عايز حاجه؟

ردّ بابتسامة حنونة:

- سلامتك يا حبيبتى.. قوليلي بقى إنت عايزه تطلعي إيه لما تكبري؟

ردّت بنظرة تحدّ، وقوة وابتسامة مُصطنعة يملؤها
خبث الأطفال:

- مُضيّفة طيران.

تغيّرت ملامحه، وقال بغضب:

- عايزه تطلعي خدامة يا جزمة.. غوري من وشي..
هتطلعي دكتورة غصب عنك.

ضحكت بشدة، وهي تقول بطفولة مستفزة:

- لاء مضيّفة طيران.

وهرولت مسرعة إلى المنزل.

عندما فتحت نادية الباب كانت لا تزال تبكي.

قالت بقلق:

- ماما، إيه ده بتعيّطي ليه؟

ومسحت دموعها بيدها الصغيرة.

ردّت نادية بانهيار, وألم:

- أبوكي يا ندى اتجوّز عليا دي آخرتها بعد كل الجمل
اللي راميه عليا, واللي عملته, ولسه برضه بعمل
علشانه, آخرتها ليه كده يا ربي؟!!

الجميع يعلم أن ندى تُقدّس أباه؛ فهي تحبه
بشدة, دخلت غرفتها باكية هي أيضًا, فهي لن تسمح
لأحد أن يشاركها أباه فدونه الموت.

وفي حالة الانهيار التي تجتاح الجميع للمرة الثالثة
تسمع نادية الطرقات على الباب, وعندما فتحت تجمّد
نظرها, لتجد منى فنظرت لها بضيق شديد ومشاعر
مشتتة.

لم تهتم منى بنظرتها لها, ولكن اهتمت بدموع
صديقتها, وبلهفة قالت:

- مالك يا حبيبتى في إيه خير؟

بدون أن تشعر أُلقت نادية بنفسها بين يديها، فهي في أمس الحاجة لأن يكون أحد بجانبها لتظهر ضعفها، وتشاركه حزنها وأفكارها المبعثرة، وقالت بحسرة المغلوب على أمره:

- أنا تعبت.. كل حاجه بتتهد في حياتي استحملت الوحدة، والإهمال، والظروف الصعبة، والشغل والبهدة ومسئولية الولاد، ونظرة الطمع اللي بتاكل فيا وتخوفني، وفي الآخر خالد يكلمني النهارده عشان يعرفني إنه هيغيب سنة كمان.. أكيد اتجوز عليا مادام هونًا عليه، وكمان إهماله لينا دا حتى بيعت الفلوس للبيت كل ثلاث شهور، ومش فارق معاه حاجة، ولا إحنا بنعمل إيه، ولا عايشين إزاي، ومنمتش بسبب خوفي من كلامك عن الشيخ بتاعك ده، هو كمان عايز بنتي ليه، وانتِ إزاي سكتي لما جاب سيرتها، ويعرفها مين؟ انا غلطت إني مشيت من غير ما عرف السبب.

وبصرخة هستيرية تدل على البركان الذي بداخلها:

- أنا هتجنن، ومحدش حاسس، ولا مقدر.

- إهدي، إهدي بس هيجراك حاجة ومحدّش هينفعك.. طيب بس عشان العيال, ويا ستي الحل عندي.

قالت نادية في لهفة:

- اسعفيني بيه الله يخلكي.. لازم نروح لأبو وداد.

نظرت لها نادية والدموع تملأ عينيها:

- مين أبو وداد؟

- ده الراجل بتاع ربنا اللي كلمتك عنه, وحل لي مشكلتي.

- يعني تقصدي يعمل لنا عمل؟

- لأ يا شيخة حرام عمل إيه بس؟ يا ستي نروح بس ولو قلبك مرتاحش نمشي, وبتوع الدين بيقلوا استفتى قلبك.

- طب يا منى الراجل ده عايز من بنتي إيه؟ ومن غير لف ودوران.

- طيب بصراحة هيفتح عليها المندل.

بذهول ردّت نادية:

- مندل؟ تقصدي سحر,وجن,وعفاريت؟! يخرب بيتك, وبيت سنينك إنت عايزه تعفرتيلي البنت؟!

ردّت منى بخوف من انفعالها:

- لأ،والله هأذي ندى! إنت اتجننتي ياستي كانت منال بتروح، وأهي كويسة أدامك مافيهاش حاجة زي القردة ياختي، بس مبقتش طاهرة عشان هي اتشهرت، ولازم اللي يفتح المندل يكون طفل طاهر مبلغش عشان يشوف المندل، واديننا هنروح, وافهمي من الشيخ وبين الشاري والبايع يفتح الله.

لمن لا يعرف المندل

يطلق عليه البعض (تلفاز الجن) أو (المندل).. له استخدامات عديدة ومن الأكثر انتشارًا، بعض حالات السرقة والقتل ومعرفة أماكن الغائبين وأماكن الكنوز والدفائن ونقط ضعف العدو، وهو نوع مختلف وخاص من جلسات التحضير، وله طقوس مختلفة وكثيرة، ومنها استخدام عمار المكان لأن العامر، موجود دائمًا في ممارسات الإنسان اليومية، ويكون له حضور قوي عند حدوث جريمة، مثل القتل أو السرقة أو اغتصاب، فيقوم فاتح المندل بتحضير العامر، ويسأل عن الجريمة، فإنه يوضح اسم المجرم ويعيد مشهد الجريمة بالكامل، بالطبع عن طريق ما يطلق عليه الناظور أو الوسيط حيث يأتي بطفل صغير لم يبلغ الحلم أو امرأة حامل، ويفضل دائمًا أن يكون طفلًا لأنه الأكثر شفافية لمشاهدة الأحداث وأكثر قابلية على الاتصال الروحي.

ويكون الكشف في فنجان يجلس الطفل، ويقوم فاتح المندل بكتابة عزيمة خاصة على جبهة الطفل.

ثم يخبر فاتح المندل بما شاهد أمامه، وإذا حضر الجنى يطلب من الطفل سؤاله عن ما يريدون معرفته، ويستخدم أغلب الأوقات في هذا النوع من الجلسات فنجان من الخزف يُملأ بزيت الزيتون والحبر الصافي شديد اللمعان، بحيث يرى الطفل الإجابة أمامه في الفنجان ويخبر بها فاتح المندل، لذلك يطلق عليه البعض تلفاز الجن، وفي بعض الأحيان يتلبس الجنى الطفل ويقوم بالإجابة من خلاله، إما بالكلام أو تلبس اليد والإجابة بالكتابة أو بالإشارة.

وقيل في العزيمة في معجم لسان العرب لابن منظور:

"العزيمة من الرقى التي كانوا يعزمون بها على الجن".

وقال أيضًا القرافي في كتاب الفروق:

"أصلها الأقسام والتعزيم على أسماء معينة زعموا أنها أسماء ملائكة وكلهم سليمان بقبائل الجان، فإذا أقسم

التزم الجن بما يريد" والله أعلم.

وقيل أيضًا عن جلسات التحضير في كتاب الخاتم
السليمانى:

"ويبدأ بالقسم عليهم ودعوتهم بأسمائهم، وباستخدام
أوافق معينة يتم كتابتها كما يتم استخدام قسم
معين، مثل البرهوتية أو القادرية أو اللهوتية وهي
أقسام طويلة جدًا، وتبدأ بكلمات مفهومة وبعد ذلك
يبدأ بالدخول بالشركيات والدعاء لغير الله، كما يبدو لنا
ذلك وهذا حرام ولا يجوز ويؤدي للكفر".

صدق رب العزة في كتابه الكريم:

"وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقًا"

صدق الله العظيم

وتمكنت منى في لحظة ضعف وانهيار شديد تعشها نادية بأن تقنعها بالتوجه لأبي وداد، وفي الحال حتى لا تتراجع عن رأيها.

فعندما يكون الإنسان جاهل لدينه، وثقافته محدودة، ونصيبه من العلم فقط كتابة اسمه، ولا يستطيع قراءته فيُصبح مثل الورقة البيضاء أي نقطة تصبح علامة.

وفي تعجّل قالت منى:

- يالاً يا ندى عشان هتنزلي معانا.

فأشارت إليها أمها بالموافقة، وفي لحظات كان الجميع متوجّهاً إلى منزل أبي وداد الذي يقع في نفس الشارع الذي تقطن به منى، نعم الشارع الذي يشعرك بالانقباض وماتت به الحياة، وكان يبعد عن منزلها بأمتار قليلة، وعند منزل صغير مكون من طابقين قامت منى بالطرق على باب حديد كبير الحجم وذي

لون أزرق مشع لا ترتاح العين للنظر إليه، يشعرك أنك أمام عمارة سكنية كبيرة الحجم برغم صغر البيت.

جاء صوت نسائي من الداخل:

- ميين؟

وفي إجابة سريعة قالت منى:

- أنا يا رسمية.

فتحت الباب، وبنظرة خافتة نظرت لندى بأسى، وقالت في مودة واضحة:

- اتفضلوا الشيخ مستنيكم.

نظرت نادية إلى رسمية التي تبدو أنها تجاوزت الثلاثين من العمر، وملامحها الجميلة المختبئة داخل بهتان غريب، وعيناها الحزيتان اللتان تلمحتا بالسواد أسفلها وجلبابها البسيط الذي تدل على أنها كانت منهمكة في أعمال المنزل.

تمسكت بيد ابنتها في قلق ورهبة شديدة إجتاحت قلبها والتوتر الذي كان واضح على ملامح وجهها منذ أن وقفت أمام المنزل، أجلستهم رسمية على كنبه قديمة متهالكة.

ضمت نادية ابنتها في حضنها بشدة، وعيناها تتفحصان المكان من حولها، ولم تنتظر منى أحدًا بل دخلت إلى غرفة على اليمين، وغابت رسمية من أمامهم.

ويبدو أن الفضول أثار الطفلة أيضًا لتجول بنظرها داخل المنزل، فتحدثت ندى بتهكم:

- هو ليه البيت كله طوب مفيهوش حيطان ملونة زي بتنا؟

لم تجد إجابة..

خرجت منى من الغرفة مع رجل، في منتصف الخمسينيات، أبيض البشرة ذو وجه وسيم، ولكن في وجهه قسوة تظهر من عينيه وجبينه المعقود، وجلبابه

المنمق الذي يوضح أنه شديد النحافة وطوله متوسط، وفي يده اليسرى خاتمان من الفضة يميزهما حجمهما الكبير ولونهما الأزرق يجذب النظر ورائحته العطرة التي تدل على مدى اهتمامه بمظهره، لكنها غريبة حينما تصل إلى أنفك تشعر أنها مختلطة بالبخور، لكن برغم القسوة التي تبدو في ملامحه والرغبة التي تجدها في نفسك لو نظرت إلى عينيه، إلا أنه حينما خرج من الغرفة كانت عيناه مُعلقتين بندى، والسبحة التي بيده بدأ يضغط عليها بشدة، وكان يحرك فمه كل بضع لحظات، وحينما التقت عين ندى بعينيه، لم تستطع أن تفهم بعقلها الصغير ما هذا الشعور الذي يجذبها إليه.

وفي مودة غريبة، قامت من مكانها لتحتضنه بحب شديد.

تفاجأت نادية بما حدث فبرّرت بخجل:

- معلىش.

أوقفها عن الحديث وقال بهدوء وثبات:

- اتركها.

وتوجّه بحديثه لندی:

- عامله إيه يا حبيبتى؟!!

لم تتحدث, ولم تبعد عينيها عنه.

أجلسها بجانبه، وفي نظرة حائرة لم تجد نادية كلمات لكي تفهم ما سبب ارتباط ابنتها به، وهذه المرة الأولى التي تلتقي به، ولم يأت ذكره أمامها من قبل.

أخرجها من شرودها قوله:

- منى قالتلي على مشكلتك وبعون الله محلولة، لكن أنا مش هعمل حاجة، ندى هي اللي هتقول إذا كان خالد اتجوز ولا لأ ولو اتجوز أنا هتصرّف.

ردّت, وهي لا تستوعب شيئًا:

- إزاي ندى هتعرف, وبعدين منى قالت إنك عايزها.. ممكن أفهم إنت عايزها في إيه؟

ردّ بنفس الثبات, والنظرة الغامضة التي تملأ القلوب رهبة:

- الموضوع خدمة في سبيل الخير.. هي هتساعدنى بس في فتح المندل.



نزلت يد نادية ضاربة على صدرها بعنف, وهي تقول:

- يا لهوي، إنت عايز البت تتلبس؟!

رد بنظرة قوية في عينيها وبغرور العارف:

- أنا مش قليل، أنا أبو وداد اللي يتهاب ولا يهاب.. أنا مش هضر طفلة، عيب عليكى أنا عارف بعمل إيه، ومعروف عني إني راجل بتاع ربنا، والمندل زي التلفزيون هي هتشوف اللي بيحصل قدامها، وهتقوله لأن الأطفال عندهم شفافية.. مفيش أي ضرر ودي خدمة بعملها لوجه الله.. وللعلم.. في ناس كتير تتمنى

تكون في مكانها لأنها هتستفاد لأن الكرمات هتنزل عليها، وهتتوفق في كل طريق، وعقلها هينور من كتر الخير اللي هينزل عليها، ده الاختصار اللي على قد فهمك دا عالم كبير، واللي بيساعد فيه حياته بتختلف بطريقة، مش أي شخص يقدر يستوعبه إلا شخص عنده علم وصاحب كرامات، وانت كمان ليكي نصيب.. أولاً هتاخدي ثواب لنك بتساعدي في عمل خير، ومشاكك هتتحل كلها وأبواب الرزق كلها هتتفتح أدامك

كان هذا هو الكود السري الذي وصل منه لعقلها، وأغلق به باب مشاعرها الحائرة بين القبول والرفض.

وأكمل:

- البنت مش هتضر في أي شيء خالص إلا نادرًا لو جاتلها سخونة ورعشة بسيطة، ومش هتفتكر حاجه بعد الجلسة ولو افكرت حاجه هتتخيل أنها كانت بتحلم مش أكثر.

ردّت بتردد:

- طيب أعمل إيه مع أبوها لو عرف هتبقى مصيبة سودا؟!!!

لم يعطها الوقت لتدور الأفكار برأسها أو مساحة للاعتراض.. فأجاب سريعًا:



- متقلقيش أنا موجود.

وردّت نادية في استفهام:

- البنت هتتعامل مع الموضوع ده إزاي وأكلمها فإيه؟ أقول إيه بس؟ لأ أنا خايفة.

وفي ثقة رد:

- مالكيش دعوه أنا هتصرّف معاها, واطمني البنت اتعلقت بيا من أول ما شافتني.

- فعلاً أنا استغربت مش متعوّدة تتعامل مع الناس بالود ده.

قال بابتسامة خبيثة:

- القبول دا نعمة من عند الله.

أكملت كلامها:

- طيب هي عندها مدرسة, ومذاكرة يعني مش هقدر أجيبها كل يوم.

- لأ طبعا أنا فاهم, ووجودها بيترتب على حسب الحالات, وأنا مقدرش أخليها تفتح مندل كل يوم.. لازم ترتاح.

للمرة الثانية لم تنتبه لكلمة ترتاح لأنه أكمل مُسرعا:

- وبكره ندى هترد عليكى في موضوع خالد, وهتيجي رسمية أو وداد تاخذها من البيت بعد العشا, وهما اللي هيرجعوها, واطمني.

نظر لندى التي تجلس ملتصقة به, وعينيها المعلقة بوجهه بمودة مُربية.

- بكره هاحكي لك حكاية حلوة, وهتشوفي بابا كمان.
لم تنطق, ولا أي تعبير يُرى في قساماتها, وتعلّق نظرها
به!

- معادنا بكره يا ندى بعد المدرسة.

توجّه الجميع إلى الباب.



قالت منى:

- تسلم لينا يا شيخ من كل شر.

فرد بحزم:

- ربنا يستر.

وفي الطريق قالت الأخيرة:

- اطمّنتي يا ستي؟.. إن شاء الله الخير على إيده، ده
راجل بركه.

ردّت نادية:

- يا رب من بقك لباب السما يالاً رُوحي إنت، وانا
هاجيب شوية طلبات, وهارُوح على طول.

قالت منى:

- طب تصبحي على خير.. عايزه حاجة يا حبيتي؟!!

- عايزه سلامتِك.

جلست نادية على الكرسي في البلكونة تنظر إلى
المارة وزحمة الشارع التي لا تنتهي، حتى تنوه
بأفكارها القلقة من أثر موافقتها في الوجوه، ولكنها
أقنعت نفسها أنها تفعل خير لوجه الله، وأنهت حوارها
الداخلي بأن قالت:

"البنت هتروح, ولو مرتاحتش مش هتروح ثاني، مش
هيجرى حاجه يعنى.. يوووووه أنا تعبت إن شاء الله
خير".

وأسلمت جسدها وعقلها إلى النوم، وفي الصباح اتّجهت ندى وأخوها إلى المدرسة، وهي من الطلاب المتميزين والمحبوبين ببراءة وجهها ونبوغ عقلها والجرأة التي تملأ قلبها تشعرك برغم صغر سنّها أنّها مسؤولة فعلاً، هذا اليوم كان مميزاً لطلاب فصل 1/6 لأن جميع الطلاب بنين وبنات يحبون (أبله راندا) رائدة الفصل فالיום يوافق عيد ميلادها فقامت ندى وأميرة صديقتها بجمع المال من الطلاب لشراء الشرائط والبالونات الملونة لتزيين الفصل وكمية كبيرة من الحلويات حتى يستمتع الجميع وتشعر مدرستهم أنّها محبوبة ومهمة في حياتهم.. فاستعدّوا لعمل هذه الحفلة الصغيرة لكي يفاجئوها.

دخل جميع الطلاب الفصل، وقالت أميرة:

- يالاً نعلّق الزينة، ويالاً يا بنات حُطّوا الحلويّات على التريزة.

ونادية صنعت تورتاية صغيرة أحضرتها ندى معها فوقفت أمام الجميع بفخر، وقالت:

- شوفتوا ماما عملت تورتاية أمورة عشان أبله راندا
إيه رأيكم؟ حلوه صح؟!

وبالفعل شاهدت نظرة الإعجاب في أعين الأطفال،
وعلامات الجوع في آن واحد.

وبعد أن انتهى الأطفال من التحضيرات للحفلة دخلت
أبله راندا، وعندما رأت ما قام الطلاب به من أجلها
غمرتها السعادة، وكادت الدموع أن تنهمر من عينيها
لشعور المحبة الذي دخل الى قلبها حينما رأت الحب
في تصرفاتهم تجاهها، وجذبتها لوحه معلقة على
الحائط كُتب عليها كل سنة وأنت طيبة يا أجمل أبله،
وبها أسماء الطلاب جميعًا فشعرت بالامتنان والسعادة،
وكان يومًا مميزًا بالفعل.

الجميع كانوا سعداء إلا المتنمرين حمادة وعمرو
مشكلاتهما لا تنتهي، ولا ينتهي يومًا إلا وكان طالبًا
مجروحًا من أحدهم أو قاموس السباب الذي لا ينتهي
بدون سبب لجميع الطلاب، بعد انتهاء اليوم الدراسي
قامت ندى وأميرة بجمع ما تبقى من حلويات ووضعها

في غرفه التدبير المنزلي كما طلبت منهم أبله راندا، وعند خروج البننتين من المدرسة، اعترض طريقهما حماده وعمرو، ولم يفكروا أنه لا يصح التعامل مع البنات بأسلوب سيء، بل وقف الإثنان أمام ندى وأميرة وتحدثا بأسلوب يدل على مدى الانحدار الأخلاقي والتشرد،

- هاتوا الحلويات اللي فضلت معاكم بالذوق، ولا هنضربكم.

ردت ندى بقلق:

- هي للبنات بس، إحنا اللي جمّعنا، وعملنا الحفلة، وخلص وزّعنا على الفصل كله بنات وصبيان، والباقي حاجة متخصصكش إنت، وهو.

ردت أميرة في رعب:

- خلاص بأه كده عيب يلا امشوا، ولا أشتكي لبابا وهيجي ومش هيسكت.

كان رد فعلهما أنهما جذبا أميرة من شعرها وأوقعا ندى أرضًا، لولا أن انتبهت والدته إحدى زميلاتهم ونهرتهما فهربا.

عادت ندى إلى المنزل باكية، عندما نظرت لها نادية ضمتها بلهفة وقالت:

- مالك يا حبتي إيه اللي حصل؟

أخبرتها ندى بما حدث.

هدأت نادية من روعها، وأقسمت أن تذهب لهما المدرسة، وأيضًا ستذهب إلى والديهما

- خلاص متزعليش.. يالآ علشان تاكلي.

انتهت ندى من عمل الواجب، وجلست تشاهد مسلسل الكرتون (روبي)، وسمعت صوت نادية تتحدث مع أحد، فقررت بفضول الأطفال أن تعرف من المتحدث؟، وإذا برسمية تنظر لها وتقول:

- يالاً يا ندى نروح للشيخ.

فردت الصغيرة في خوف شديد:

- إنت مين؟

وتمسكت بأمها، بدأ الرعب يدخل قلبها الصغير؛ لأنها لا تذكر هذا اللقاء الذي كان بداية لمرحلة جديدة في حياتها، تقلبها رأسًا على عقب من طفولة بريئة إلى ما لا تدري، وليس باختيارها بل كان بجهل أم، وأنانية مستغل الذي ألقى تعويذة محبة على نفسه، لتشعر الطفلة بالمودة تجاهه ويموت الخوف والقلق بداخلها، وتنخدع الأم بالمحبة الزائفة بين ندى وأبي و داد ولكنها مؤقتة، خانه الوقت تخيل أن مفعول تعويذته سيستمر إلى ميعاد اللقاء.

التفت نادية إلى ابنتها بنظرة دهشة شديدة وتحذت بهدوء، ويدها تربت على رأسها:

- حبيبتي ده الشيخ اللي كنا عنده إمبراح، وكنتي مبسوطة.

ردّت:

- لأيا ماما.. مش فاكرة.

ارتبكت رسمية, وهي تشاهد ما حدث.

ردّت نادية:

- يمكن لما العيال وقّعوها النهارده حصل لدماعها حاجة.

ارتاحت رسمية لتفكيرها, وقالت:

- طيب هي لازم تيجي معايا ضروري والشيخ يكشف عليها.

- خلاص أنا هاجي معاكم عشان قلبي يرتاح, واطمن عليها أنا عارفه بنتى مش هتتحرك من غيري.

وصل الجميع منزل أبي وداد دخلت رسمية، وأجلستهم وتوجّهت إلى الداخل، ودقائق وخرج لهم أبو وداد،

وفي نظرة ثاقبة موجّهة إلى ندى، وتكرّر نفس المشهد.. هرولت، إليه في حب، واحتضنته.

هنا قامت نادية من مكانها، وقالت بصوت مرتعش:

- هو إيه اللي بيحصل للبت؟ وهي معاك حاجة، وبعد ما تسيبك تنسك!

فردّ بثبات وثقة:

- أنا السبب، أنا مش عايزها تفتكر أي حاجة بعد ما تخرج من البيت ده لمصلحتها.

ردّت بتوتر:

- إنت سحرت لبتني؟!

ردّ بحزم:

- ماتتكلّميش في حاجات متفهميش فيها.. أنا بحافظ عليها، وعارف بعمل إيه؟!

ثم بجفاء شديد وصرامة واضحة قال:

- روعي لبيتك, ورسمية هترجّعها البيت بعد ما نخلص الجلسة.

قالت في شرود بعد أن ظهر لها وجه جديد في التعامل خالي من الود, والتعامل بلغة الأمر, وباستعطاف:

- بس والنبى خلى بالك منها.

رد عليها ببرود:

- متخافيش، وأنا قلت لك هي معايا في أمان, وربنا بيكتب الخير لينا دايماً.

رحلت نادية تاركة ابنتها بين يدي أبي و داد وهي غير واثقة من قرارها، لكنها كانت تردد داخلها:

"ده راجل بتاع ربنا، هيخاف عليها وهو قال إنه هيتفتح لها كل الطرق ومشاكلنا هتتحل والخير هيعم

علينا، هو انا هاعوز إيه ثاني أكثر من كده؟

نظر أبو وداد إلى ندى وقال في ود:

- تعالي معايا.

لم يظهر عليها أي تعبيرات، كانت رسمية تفتح باب غرفة منفصله عن المنزل يطلق عليها (المحراب الروحاني)

حينما تنظر داخلها تجد غرفة بلا ملامح جدرانها الأربعة بالطوب الأحمر والأرضية بها حصيرة من الخوص وعلى الجدار المقابل للباب مُعلّق ثلاثة ألواح خشبية متراصة أسفل بعضهم على شكل أرفف وعليها مجموعة من الكتب القديمة، وفي المنتصف يوجد منقد كبير الحجم من الفخار ممتليء بالفحم، وبجانبه منضدة صغيرة من الخشب، وعليها بعض الأوراق البيضاء الباهتة يميل لونها إلى الإصفران، ومحبرتان بهما حبر المدد الروحاني، ومجموعة من الأقلام الروحانية للكتابة وبعض الشموع، ومن السقف يتدلى

سلك به لمبة ضوءها أصفر كئيب، ويوجد مجموعة من
ثبتت القطن للجلوس.

وبرغم كآبة الغرفة إلا أنك تشعر أن للغرفة روحًا، ولكن
روح مريبة هي ما تبعث هذه الرهبة والقبضة بالقلب
لمجرد النظر لملامح الغرفة.

وضعت ندى قدمها الصغيرة في الغرفة (المحراب
الروحاني) يا لها من براءة تنتهي وطفولة تموت
وبجحود ثمحى ذاكرتها، لتعيش الرعب في حضرة
الجان، وتعيش آثار تعذيبها النفسي دون أن تعرف
سببًا، يا ليتها تفهم ما هي مُقبلة عليه.

أجلَسَها بجانبه، ووضع يده على رأسها وألقى على
سمعها توائم غريبة، لم تفهم منها شيئًا غير اليد
اليسرى، وفجأة دارت عيناها بالمكان، ونظرت إلى
الزاوية اليسرى من الغرفة وبدأت يدها اليسرى
بالاهتزاز بشدة، وأدارت وجهها تجاهه.

فنظر إلى عينيها بشدة وقال:

- أي سؤال أوجّهه ليكي تُكرّره وأي حاجة تظهر
قصادك تقوليها لي، وأنا عارف إن بابا واحشك وعايزه
تشوفيه صح؟

أومات برأسها إيجابًا.

- هتشوفيه دلوقتي.

ثم نظر إلى عينيها فشعر أنها لا تزال خائفة فأكمل:

- الولاد اللي عملوا مشكلة معاكي النهارده بكره
هيعتذروا ليكي، ومفيش حد هيقدر يزغلك تاني
خلاص يا حبيبتى.. مبسوفة؟ أنا عايزك تفتكريني أنا
وبناتي بس وتنسي المكان اللي إحنا فيه وأي حاجة
حصلت هنا اتفقنا؟!؟!

كان يوجّه الكلمات والسواد داخل عينيها يتسع إلى أن
أصبحت سوداء تماما فتجمعت الدموع في عينيها
وزادت ضربات قلبها الصغير الذي كاد أن يتوقف إلا أن
الأخير وضع يده على رأسها وردّد بصوت مرتفع:

"أقسمت عليكم اقضوا الحاجات ولبوا الطلبات احفظوا
الطلاسم والكتابات والكلمات *سريع سريع منيع
منيع".

وفي لحظات عاد إلى طبيعته, وجلست هي بهدوء
وثبات.

- يا وداد دخلي الناس!.

- حاضر يا شيخ.. اتفضلوا.

دخلت سيدة ترتدي عباءة سمراء, ويميز وجهها عيناها
اللتان لا تكادان تظهران من صفرهما, وكم الألوان على
وجهها والذهب المبهر الذي يملأ صدرها, وكانت
تصطحب معها ابنتها, التي لا تستطيع أن تفرق بينهما
في الملامح من كثرة الألوان المبهرجة في وجههما.

قالت السيدة بلهفة:

- انجدني يا عم الشيخ.

نظر لها بعمق ورد بهدوء:

- خير، أعرِف الأول في إيه؟.

- يا شيخنا أنا أم سعيد، ودي بنتي هند من أسبوع
اتسَرَقَت شبكتها من الدولار، وأنا شاكّه في خطيبها،
لأنه كان عندنا في نفس اليوم، وفي مشاكل بينا
يكونش عمل؟!، كده عشان يدبّسنا في حقها أنا عملت
محضر والحاجات دي بتاخذ وقت، والنبي يا شيخ
عايزه أتأكد عشان أتصرف معاه.

رد أبو وداد بتهكم:

- مدام إنتِ عارفه جايه ليه؟

- يا شيخ سمعت عنك كتير، ومش عايزه أظلم حد، من
غير ما أتأكد وانتَ الخير والبركه.. افتح لنا المندل إنتِ
بس، وعيني ليك.

أجاب بابتسامة باهتة:

- أنا مباحدش فلوس إنتِ هتجيبى الطلبات اللي هشتغل بيها.

- طيب اشترىها إنتِ يا شيخنا, وأنا هحاسب.

قال:

- ربنا يبسر.

دار هذا الحوار أمام ندى التي تعلّق نظرها بزاوية الغرفة.. انتبهت عندما لمس كتفها، كأنه هو من قام ببرمجة أجهزة الإحساس في جسدها، وأشار بيده إلى الأرض لكي تجلس ندى أمام المنقد وقال بحزم لأم سعيد وابنتها:

- محدّش يفكر يتكلم أو يخرج عشان محدش يتأذي.

جلسة تحضير

بدأ في وضع البخور على المنقد لصرف عمار المكان وتلى:

* بسم الله الرحمن الرحيم

"إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِإِنَّ رَبَّكَ أَوْحِي لَهَا (5)"

يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَسْتَاتًا أَسْتَاتًا أَسْتَاتًا أَسْتَاتًا أَسْتَاتًا
أَسْتَاتًا أَسْتَاتًا انصرفوا يا عمار هذا المكان حتى أقضي حاجتي, ومن لا ينصرف منكم ولا يطيع أمري يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ عجلوا بالانصراف.

"لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"

وبعد انصرفهم بدقائق أشعله مرة أخرى, وقام بتبخير
فنجان خزف صغير وكتب الطلاسم الخاصة لكشف
المندل، على يد ندى وهي في حالة ثبات تام تشعرانها
مغيبة عن الدنيا، ووضع الفنجان الممتليء بالزيت
والحبر على يدها، وكتب آية قرآنية على جبينها وبدأ
في قراءة التعزيمة سرًا وارتفع صوته بقوة وهو يردد:

"الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة"

لحظات وظهرت سحابة دخانية أمام ندى في الفنجان.

ردّ أبو وداد:

- السلام عليكم.

فرّدت ندى من بعده:

- عليكم السلام.

ولم تجد بنظرها عن الفنجان.. ظهرت ذبذبات سريعة
تشبه الشرارة الكهربائية، وبؤبؤ عينيها بدأ يتحرك بسرعة

شديدة.. تفهم الأخير أن الجني حضر، فكرر السلام لكي يتأكد أنه جني مسلم، ولا تزال عين ندى حائرة، فتأكد له أنها ترى خيالات، ولم تتضح لها الرؤية، فألقى السلام مرة أخيرة، فاستقرت عين ندى على الفنجان فتأكد أنها ترى بوضوح الآن.

قال:

- اطلبي منه يقولك والدك فين دلوقتي؟

أعادت جملته فزادت الذبذبات للمرة الثانية، وظهرت سحابة دخانية ثم اختفت لتستقر إلى مشهد داخل الفنجان، يظهر فيه والدها يجلس في غرفته وحيثاً فشعرت ندى بالأمان، وكان هذا ما أراده أبو وداد.

قال:

- في سرقة حصلت في بيت أم سعيد مين الحرامي بارك الله فيك؟

رددت الحديث، وبدأ يتمثل المشهد أمامها فقالت:

- محمد البنّا كان شايل خشب وطالع بيهم السطح فلقى باب الشقة مفتوح ومكنش في حد موجود دخل الشقة وفتح الدولاب وخذ كل الفلوس والذهب اللي فيه ومن ساعتها مجاش الشغل تاني.

أنهى أبو وداد الجلسة وقال:

- بارك الله فيكم وعليكم.

و(صرف الجني) وأخذ الفئجان من يد ندى ومسح جبينها بماء الورد وربّت على يدها بقوة وأجلسها في زاوية في الغرفة.

كانت نظرة الانبهار, والدهشة تملأ وجه أم سعيد وابتنتها.

قال:

- إنتِ بتبني يا أم سعيد صح؟

ردّت:

فعلًا يا شيخنا أنا كنت بيني دور ثاني عشان سعيد هيتجوز، وكانت أول مرة أخرج والعمال في البيت وهو ده اليوم اللي اتسرقت فيه فعلًا، وفي عامل اسمه محمد من يوم السرقة وهو عيان (سبحان الله) البنت عرفت كل حاجة ربنا يخليك لينا يا شيخنا.. بس معلىش إنت متأكد؟!

رد بشموخ العارف:

- عيب، أنا أبو وداد اللي (يتهاب ولا يهاب).

أعطته مبلغًا كبيرًا من المفترض أنه للطلبات، وأخرجت مبلغًا صغيرًا لندی لكنه رفض.

قال:

- إديها جنيه بس ده عهد، ودي المكافأة.

خرجت أم سعيد، وجلس بجانب ندى التي كانت مرهقة وقال لها بهدوء:

- مبسوطه إنك شوفتي بابا؟!

ردت بصوت مبحوح يكاد لا يخرج من حنجرتها:

- جدًا شكرًا يا عمو.

- كل ما تيجي هخليكي تشفيه.

قال هذه الجملة وهو يتفحصها بشدة ليطمئن أنها بخير:

- إنت كويسة؟ في حاجه وجعاكي؟!

عيني وجعاني مش عارفه أفتحها.

نظر إلى عينها وقال:

- معلىش شويه, وهتكونى أحسن.

- يا وداد

- نعم يا شيخ.

- إنْتِ ورسمية وّصلوا ندى البيت.

قالت له, وعلامات القلق واضحة عليها:

- يا بابا هي الجلسة عدّت على خير؟

رد يطمئنها:

- الحمد لله يا بنتي أنا كمان كنت خايف عليها لكن طلباتنا منهم بسيطة مش محتاجين حد قوي.

- طيب البنت كويسة يا بابا؟!!

أجابها بعدم اكترات:

- طبعا مُغيبه شويه, وربك ستار.

نظرت وداد لندی بحنان الأمومة التي لم تعشها، برغم براءة وجهها وملامحها الجميلة وجسدها الرشيق الذي يدل على أنوثة طاغية، لكنها أيضًا لم تتزوج مع أنها الأكبر من رسمية سننا، ومن نظرتها لندی تشعر أنها تعرف ما مرت به هذه الصغيرة أو أنها عاشته من قبل.

فتحت نادية الباب فوجدت وداد تحمل ندى.

قالت بقلق شديد:

- إيه اللي حصل.. البت مالها؟

أجابتها وداد بصوت خافت:

- هي نامت, وصعبت عليا أصحابها فشلتها, خلّي بالك
منها ممكن تسخن.

كانت وداد تتحدث, وعينها معلقة بندى, وهي تضعها
على السرير:

- الشيخ بيقولك إن خالد بخير, ومفيش مشاكل, وكرمان
هيجي قريب, وكل اللي هاتطلبه منه مُجاب وكرمان
ندى شافته.

ردّت نادية بلهفة:

- والنبي يا وداد؟ إزاي شافته؟ فهميني لأن إنت عارفه
فهمي على أدّي؟!!!

- معلش اعذريني ده عهد, ولو خالفته هنتأذي كلنا سامحيني.. آه نسيت كمان مشكلة الولاد اللي اتخانقوا مع ندى في المدرسة, الشيخ حلّها، كده مالوش لزوم تروحي.

ردّت نادية:

- ياه.. يعني بنتي مش هنتأذي يا و داد؟!!

- قولت لك اطمني.

ردّت نادية:

- طيب قولي للشيخ شكرًا, وتسلمي كثر خيرك.

وضعت نادية يدها على جبين ابنتها لتطمئن فوجدت حرارتها طبيعية فردّدت:

"الحمد لله عدت على خير".

جلست أمام التلفزيون, وفي لحظات نسيت الدنيا بما فيها وتذكّرت خالد زوجها، وكم اشتياقها إليه،

وافترقادها للمسته الحنونة وشعورها بالأمان معه,
وبدأت تشعر بأنوثتها التي ماتت منذ غاب عنها من
عام, وفي أثناء أحلام نادية اليقظة.

الحلم

كانت ندى تسير في صحراء شديدة الظلمة تلمحها حرارة الهواء الساخنة، وفي خطوات ممتلئة بالرعب حاولت أن تستكشف ما حولها، لكنها لا ترى أصابع يدها من شدة الظلام، ولكنها تشعر بالظلال السوداء التي تحوم حولها فزادت ضربات قلبها الصغير، توقفت من شدة التعب لتجد أيادي صغيرة تجذبها إليها، ولكنها تحاول جاهدة أن تبتعد فتجذبها الأيدي بقوة أكبر، ووسط هذا الجذب والشد يصل إلى أذنيها همسات خافتة تخبرها أن تهرب ولا تعود ثانية، حاولت أن تصرخ لكن صوتها لا يخرج من حنجرتها، والهمسات في ازدياد اهربي ولا تعودي مرة أخرى.

كل ذلك وندى تهتز في عنف تجذب جسدها الصغير من السرير وتعود مرة أخرى إليه فتحت عينها فجأة بكامل اتساعها ولا تزال في حالة الجذب والشد بينها وبين السرير، استمرت هذه الحالة لمدة خمس دقائق ولا أحد يشعر بها.

انتاب نادية شعور غريب بوجود شيء خلفها, ويصل
لأذنها همسات خافته تنطق باسم ندى.

جالت بنظرها في الغرفة فلم تجد شيئًا غريبًا لكنها
شعرت بالقلق فاتجهت إلى الغرفة تلقي نظرة على
ابنتها فسَمَّت الله، صرخت في فزع:

- يا نهار أسود.

فاستيقظ ابنها الصغير..

- البنت فاتحه عينيها كده ليه, وبتخبّط في السرير. لأ
دية بتترزع يالهوى يالهوى في إيه بس يا ربي؟

ضَمَّت ندى بسرعة في حضنها، وأخذت تقرأ الفاتحة
والمعوّذات، وعين ندى تدور في الغرفة إلى أن استقر
نظرها لزاوية الغرفة.

نعم إنهم هناك..الظلال الصغيرة لقد أرسلهم معها أبو
وداد لكي يطمئن عليها، ويحمونها من أي جنى عارض
لأنها أصبحت ظاهرة في عالم الجن.

بعد قبلة حانية على جبين ندى، قالت نادية:

- خلاص مش هتروحي للراجل ده تاني.

ردّت ندى في لهفة غريبة:

- عمو أبو داد.

- أيوه المرّه دي عدّت على خير.. إنتوا اللي طلعت بيكم من الدنيا، وخايفه عليكم كده كفايه.

- لأ يا ماما.. ده راجل طيب، وشفت بابا ووعدني إني أشوفه تاني ومفيش حد هيزعلني في المدرسة تاني، وانا كويسة زي الحصان والله.

- طيب ارتاحي دلوقتي، وبكره مش هتروحي المدرسة، وانا هروح المصنع استأذن، واجي على طول.

- يعني مافيش مدرسة؟!

كان الكلام يخرج منها بفرحه وسعادة وقامت تقفز هي وأخوها على السرير وتهتف:

- يعيش أبو وداد يا يعيش.

- يالاً ناموا بأى.. تصبحوا على خير.

ودخلت الى غرفتها هي الأخرى لتنام.

هل نامت الصغيرة؟ نعم، وقبل أن تغلق عينيها نظرت إلى زاوية الغرفة بنظرة مبهمة أنها تراهم بوضوح والغريب، إنها ليست خائفة من هذه الظلال، هل هذا من حسن حظها أم سوءه، غاصت في نوم عميق وكأن شيئاً لم يكن.

لم تُغمض عين وداد لا تعلم لماذا تعلق قلبها بهذه الطفلة دون الجميع، رغم أنها وحيدة ومتقوقة على ذاتها، يجوز قوة قلب الصغيرة ذكّرتها بطفولتها المدمرة نعم تذكرت، أنها أيضاً كانت ناظور لأبيها ولم

يشفع لها عنده أنها طفلة، أغمضت عينيها بألم يعتصر قلبها أنه السبب في ما صار عليه حالهم هي وأختها لا تعلم هل عدم زواجها هي ورسمية، عقاب من الله بسبب والدهم لدخوله هذا العالم وهم من تحملوا النتيجة أم أنه، أمر الله فقط ومشيتته؟!!

حمدت الله على ما هي فيه.. كان من الممكن أن يسوء وضعها أكثر لكنها حينما تنظر لوجهها في المرآة وتشاهد جمالها يذبل، وأنوثتها التائهة والعمر الذي مضى دون أن تشعر بإحساس الأمومة هذا الإحساس الذي يولد مع البنت ويكبر معها، ماتت مشاعرها وحلمها بالفارس والفرستان الأبيض وسط رعب الناس من كونها ابنة أبي وداد، كم تتمنى أن تمنع هذا المندل من الحياة الذي - جعلها هنا وستظل هنا - فجأة سمعت صوت أقدام وتحطم زجاج في الخارج، لم تعد خائفة فقد رأت في منزل أبي وداد ما يوقف القلوب.. ظهر فجأة وتلاشى في الظلام لن يتركها ربها فرحماك بها لقد شاب قلبها منذ طفولتها.

سحبت الغطاء, وتلفحت بيه من قدميها إلى رأسها,
وأخذت وضعية الجنين وشرعت في قراءة آية
الكرسي, وهي تعلم إذا فعلت فلن يتركها دون عقاب,
وبدون سابق إنذار سحب الغطاء, وإذا بعينين تشبهان
النار المشتعلة دون ملامح, وقال بلهجة التحذير:

- إياك أن تُكلمي.

كانت الكلمات تصدر من تيم, وبدأ السرير يهتز بوداد:

- كفاية كفاية خلاص.

كانت الكلمات تخرج منها, وهي تشعر أن روحها
ستخرج مع الكلمات وفي هذه الأثناء كان أثاث الغرفة
يدور فوق رأسها وعيناها التي لم ترمش مُعلّقة
بالسقف, فجأة فتح الباب أبو وداد واختفى تيم في
لحظة فتحه للباب ووقع جميع الأثاث بعنف شديد
على الأرض, فنظر لوداد وقال لها وهي تكاد تفقد
وعيناها:

- تيم صح؟! أنا هتصرف معاه.

قالت بإعياء:

- هتعمل إيه يا بابا؟؟ عمري كله قضيته في الخوف والرعب متصرفتش ليه، لما حياتنا أنا وأختي وقفت متصرفتش ليه؟، لما اتحررنا من الجواز والتعامل مع البشر متصرفتش ليه؟، بجنك وعفانيتك عملتلنا إيه؟، عذاب يومي من تيم، وانت تقول هو خادم عندي، ولا إحنا اللي بيلعب جنّي بينا، أنا تعبت ونفسي أموت وأخلص من العذاب ده حتى ذكرني لربنا ممنوع عليا، خلاص يا أبو وداد.. وداد ماتت.

ظل صامتًا ينظر إليها بجمود، حتى التعاطف غير موجود في قاموسه، تركها وخرج من الغرفة دون أي رد، يشعل في روحها الأمل تركها بحصرتها والخوف من تيم لم يحرك له ساكنًا والدموع تنسال على خدها.

بدأت همسات خافته تواسيها:

" لا تيأسي من روح الله "

شعرت بنسمة هواء عطرة تلفحها، وقالت:

- أنتم أجمل شيء فعله أبي في حياته، أنتم من تشعرونني، أن الله لن يتركني في هذا العذاب.

تمايلت الظلال السوداء أمامها لكي، تُشعرها بقليل من البهجة إنهم "عباد من عباد الله الصالحين"، ويطلق عليهم أبو وداد أنهم أعوان خيرة تساعد في أعماله، ولكن عندما تغيّر طريقه لم يستطيع أن يجبرهم، ولكن استطاع أن يجبر "تيم" ويُعذّبه لأنه ليس منهم، وبدأت بينهم عداوة شديدة وأصبح "تيم" يتفتّن في ما يؤذي أبا وداد في أهله وأولاده وماله وأحيانًا يؤذيه في جسده ويفزعه ليلاً.

- ندى ندى يا ندى.

توجّهت بنظرها لمن ينادي، وإذا بحمادة وعمرو وتوجد على وجه كل واحد منهما، علامات أصابع زرقاء واضحة بشدة، والدموع تملأ أعينهما، تحدّثا بتوسل:

والنبي ما تزعلي مننا ثاني، مش هنضايقك ثاني أبدًا.

ردت ببراءة:

- مالكم وشكم عامل كده ليه أنادي ماما توذيكم
للدكتور؟

وبدأت تنادي:

- ماما.. ماما..

دخلت نادية مسرعة:

- نعم يا حبيبتى.

فوجدتها نائمة.. أيقظتها بهدوء:

- إنتِ كويسه؟

جالت بنظرها في الغرفة فلم تجد الأولاد.

- ماما عمرو وحمادة كانوا هنا؟

- لأ إيه اللي هيجبهم هنا؟ إنتِ بس عشان زعلانه منهم

أوي ممكن تكوني حلمتي بيهم، المهم يالآ عشان

تفطروا وخلي بالك من أخوكي، هروح المصنع أستأذن
وارجع على طول.

الساعة الثانية ونصف داخل المحراب، جلس أبو وداد
في حزن لا يشعر به أحد لأنه أبو وداد اللي يتهاب ولا
يهاب، نظرة الرعب والألم والحسرة في عين وداد
تقتله ورسمية التي تشعر أنها مُغَيِّبة دائماً، لا لم يندم
بل بدأ بوضع اللوم على "تيم" إنه خبيث.

" أقسمت بربي سوف أنتهي من عملي وأقتلك "

هذا حديثه مع نفسه كل يوم، ولا ينتهي عمله مع تيم
ولا يكف الأخير يده عن الأذى.

لم يكن خطأ في جلسة تحضير لأبي وداد، فدخل تيم
حياتهم دون سابق إنذار، لا بعد شقاء ورياضات روحية
وخلوات وعزلة عن البشر، وأوراد وتوسلات وأقسام
وتعاويد إلى أن سمح له بخادمه تيم.

(ليس كل ما يتمناه المرء يناله), *وكما يقال احذر مما
تتمنى*.

"تيم" عنيد فكثيرًا ما يعصي أمره فيكون أبو و داد
سببًا لعقاب "تيم" من زعيم قبيلته، فأصبح أبو و داد
عدوًا لتيم لكنه مُجبر على الطاعة، فتوعد تيم
بالانتقام، وأكبر عقاب من تيم له ما فعله لأولاده فهو
السبب الرئيسي لبغض الناس لهم وإخافة من يفكر أن
يتزوج بهما بسبب هذه العلاقة البغيضة بين الإثنين،
ماتت الفتاتان، وهما حيّتان.

توجهت نادية إلى المصنع، وتوقف أمامها عبد الله
صاحب القهوة التي بجانب بيتها ونظر لها نظرة تمنّ
وقال:

- ربنا يهدّك.. إيه يا زمن؟!.

رمقته بنظرة مهينة، وقالت:

- عُمرك ما هتتعلم الأصول، وتفهم إن بنات حتتك
إخواتك، وانت سندهم مش تاكل فيهم.

وتركته ورحلت.

لاحظ عم محمد ما حدث وتوجه له بالحديث:

- عيب عليك تضاييقها في الرايحة, والجايه, وانت عارف إنها في حالها, ومحترمه, ويا ريت تحترم نفسك بدال ما انا اللي هقف لك.

طقطع رأسه للأسفل, وعاد إلى القهوة.

دخلت المصنع بروحها الودود وقوة شخصيتها:

- سلام عليكم أخباركم إيه وحشتوني والله يا جماعة.

وكان رد كل من رآها:

- إيه الغيبة الطويلة دي إنتِ نسيتينا؟!

- لأ والله ده أسبوع بس يا جماعة متقلقوش قاعده على قلبكم، هو أستاذ مجدي هنا؟

ردت مي:

- في المكتب.

سمع صوتها فزادت ضربات قلبه بعنف، وفي لحظات كانت أمامه وتتحدث بابتسامة قوية تُسعد القلب:

- حضرتك عامل إيه.

بنظرة حانية تعمد أن لا تنتبه لها تفحصها من منبت شعرها إلى أسفل قدميها، إنها هي من يعشقها بكامل تفاصيلها رغم الفوارق الشديدة بينهما، فهو محاسب في شركة كبير وصاحب المصنع مميز بكل شيء لن أقول وسيم بل تعدى الوسامة بكثير، وكما يقال ألف من تتمناه مال وجمال وأخلاق، ولكن هي فقط من تملأ قلبه، ولكنه لا يستطيع أن يبوح بما في قلبه لأنه يعلم أنها لو شعرت فمن الممكن ألا يراها مرة أخرى، نادية في نظرة الرقة والقسوة والأثوثة بتوحش النمر والهدوء والجنون هي الشيء ونقيضه بجمال، إنه يحبها لكن لا يوجد نهاية واضحة لهذا الحب.

رد عليها

- الحمد لله خير.. غيبتني عننا أسبوع بحاله.. الولاد كويسين؟!

- الحمد لله بس ندى كانت تعبانة شويه فإن شاء الله بكره هكون على مكنتي.. أنا عارفه إن حضرتك مقدر ظروفى بس برضه سامحنى.

رد عليها بهدوء لكي يخفي لهفته وشوقه لوجودها أمامه، لكن عينيه الزرقاوين بلون البحر تكاد تقول أنت ملاكي:

- بلاش الكلام ده هنا مكانك ولما بيكون المصنع محتاجك بتكونى أول واحده معايا ولازم نستحمل بعض.

- شكراً ربنا يديم بنا المعروف.. أنا ماشيه عايز حاجه؟.

- استنى لحظه بس.

أخرج مبلغ من المال:

- ده باقي فلوسك عشان لو محتاجه حاجه.

نظرت إلى عينيه بوضوح, وقالت بكبرياء:

- أنا أخذت فلوسي.. شكرًا يا أستاذ مجدي، أنا مش محتاجه حاجه شايلاك لعوزه سلام عليكم.

قال:

- نادية.

- أيوه.

- خلي بالك من نفسك.

ردت:

- ربنا يستر.

وفي طريقها لم تتحرك عيناه عنها.. إنها تعلم بشعوره تجاهها, ولكن لا تستطيع أن تفكر به، سوى إنه شخص

جيد, ورب عملها فهي زوجة وأم, ولا يصح أن تذكره
إلا بالخير فقط, ولا أكثر لكن تأنيب الضمير يقتلها لأنها
ترد كل تصرفاته وأفعاله الجيدة بفضاظة.

دخلت المنزل لتبدأ أعمالها المنزلية, وكانت تحاول أن
تُعلم ندى كل شيء لكي تعتمد عليها في المنزل في
أثناء غيابها.

- يالاً يا ندى رثبي البيت, وأنا هحضّر الغدا, وهعملكم
كيك عشان نسهر نتفرّج على المسرحية سوا.

- حاضر يا ماما.

وفي الليل تجمّعوا أمام التلفزيون فتحدّثت ندى:

- بكره لما أرجع من المدرسة هروح عند أبيه أحمد
عشان في درس في الرياضة صعب جدّا, ومش عارفه
أفهم منه حاجه.

ردّت نادية:

- أنا مش عارفه من غيره كنتي عملتي إيه إنتِ عارفه
 إني مدخلتش مدارس عشان أقدر أساعدك.. التعليم
 أهم حاجه يا ندى.. أنا فرحانة إنك شاطره في
 المدرسة يا رب تحققي أحلامك إنتِ وأخوكي وتكونوا
 موفقين على طول.

دخل الجميع إلى النوم ولم يغيب عن ندى حلمها
 المرعب، وفي الصباح ذهبت ندى وأخوها إلى المدرسة
 وفي أثناء اليوم الدراسي أرسل في طلبها أستاذ عادل
 مدرس الموسيقى من أجل البروفات الخاصة
 بالمسابقة، لأن ندى عازفة أورج مميزة، وأذنها موسيقية
 وهي ضمن الفريق الموسيقي بالمدرسة.

استأذنت ندى أبله رندا للذهاب، فقالت الأخيرة:

- ممكن آجي لماما عشان عايزه أعمل فستان جديد
 شوفي هتكون فاضية إمتى وأنا هجيلها، والدرس
 هاعيد شرحه تاني عشانك.

- شكرًا يا أبله وهقول لماما.. عن إذنك.

دخلت غرفة الموسيقى أو غرفة الأحلام الخاصة بها، هنا تشعر أن الدنيا بين يديها ولن يقف أمامها شيء في الحياة، ألقت التحية على جميع من في الغرفة واستقبلها الأستاذ عادل بتعجل:

- يالآ يا فنانة اليوم هيخلص, وعندنا شغل كثير.

لتبدأ المتعة.

وبعد مرور عشرة أيام على جلسة التحضير جاءت رسمية مرة أخرى تطرق الباب استقبلتها نادية بحفاوة رغم أنه لم يحدث جديد في حياتها كما قال أبو وداد ولكن هي ودودة بطبعها:

- عامله إية يا رسمية, وأختك وداد والنبى سلميلي عليها.

ردت عليها الأخيرة:

- يوصل إن شاء الله معلىش الشيخ عايز ندى.

- طيب هي عندها واجب هتخلصه الأول وأجبها أنا.

ردت رسمية:

- خلاص أنا هستنّاها.

انتهت ندى من واجباتها المدرسية، وتمسكت بيد
رسمية كما طلبت منها أمها.

وعلى الباب كانت منتظرة وداد بقلق واضح في
عينها.

- إنت كويسة يا ندى؟ فيكي حاجة يا حبتي؟ إنت
مش فاكراني؟

قالت ندى:

- أنا شوفتك كتير.

قالت وداد لرسمية:

- ادخولي, وأنا هدخلها للشيخ.

توجّهت رسمية إلى الداخل فهي فعلاً مُغَيِّبة لا تفعل شيئاً إلا بتوجيهات بدون ذلك تظل بمكانها.

كانت وداد تجلس على ركبتها, وتنظر في عين ندى وهي تسألها:

- شفتيني إمتى يا قمراية؟!

أجابتها ببراءة:

- كل يوم بتكوني في ركن فالأوضه قاعده جنبهم تعيطي.

هنا تفهّمت وداد أن بينهما اتصالاً روحانيّاً.

لكن دار عقل الصغيرة قليلاً لتؤكد لنفسها أنها استطاعت أن تتحدّث عن الظلال السوداء دون أن يعقد لسانها كباقي الأوقات، حينما تريد أن تحكي لأمها ما تشاهده من أحلام مرعبة, وشعور الانقباض

الذي لا يفارق قلبها، حتى كاد يُنسيها معنى السعادة،
ضمتها وداد وقالت:

- أنا خايفه عليك، وحببتك جدًا متهيألي لو اتجوزت
وعندي بنت كنت هحبها زي ما بحبك، عشان كده كنتي
بتشوفيني لأن اللي بيحب حد قوى بيوصله حتى لو
بعيد بقلبه، أنا عارفه إنك مش فاهمه حاجة من كلامي
لكن بكره تكبري، وهتفهمي اللي بقوله.

قطع الحديث رسمية، وهي تشير لها أن تدخلها إلى
الشيخ، قالت وداد:

- اسمعيني كويس لو خوفتي بوصي في اتجاه الزاوية
هيكونوا معاكي هما أصحابنا، وطيبين، وإوعى
تتحركي مافيش حاجة هتاذيكي طول ما هما
موجودين.. سمعتيني؟!

هزّت رأسها بالموافقة لكن عينيها غارت من الخوف
فنظرت وداد لعينيها وقالت:

- أنا جنب الباب لو في حاجه هكون جنبك على طول متخافيش.

وقامت بتقبيلها قبله حانية على جبينها, وطلبت منها أن تقرأ الصمدية ثلاث مرات بالبسملة أولها مرة واحدة فقط واتجهتا إلى " المحراب الروحاني" ولم تفارق وداد الجدار الفاصل بينها وبين المحراب.. كانت تشعر بانقباض شديد مثير للرغبة فشرعت في ترتيل الصمدية بهمس, وهي ترجو الله, وتتوسل إليه, وتستجير ألا يُصيب الصغيرة أذى، وأن يكون عون الله معهم وأحبابه وعباده الصالحين.

استقبلها أبو وداد بحفاوة شديدة, وابتسم لها, وهو يتفحصها جيدًا؛ ليتأكد أنها صارت أقوى, وأن خوفها أصبح أقل, وقال مداعبًا لها:

- أخبار الشقاوة إيه؟

أجابته ندى في هدوء وثبات غريب وهي تنظر إلى زاوية الغرفة لتجد أصدقاءها، الظلال السواد ليزيد

شعورها بالهدوء والطمأنينة:

- الحمد لله مش بعمل شقاوه.

زادت ابتسامته وقال:

- تمام أنا عارف إنك جميله, وبتسمعي الكلام.

أجلسها في منتصف الغرفة أمام المنقد، وطلب من رسمية إدخال الضيوف.

دخل رجلان, ومن خلفهما ثلاث سيدات يتلفحن بالسواد.. هيئتهم تدل على أنهم من أهل الصعيد.

- السلام عليكم يا شيخ المشايخ.

خرجت هذه الجملة من عامر رفيق الكفاح وصديق العمر لأبي وداد.

هما متقاربان في العمر لكن الاتجاهات مختلفة، عامر الذي أمامنا من هيئته تشعر بالثراء من ملابسه واهتمامه بنفسه، وسيارته الفارهة، ولكن إذا نظرت في

وجهه لن تشعر بالهيبة مثل أبي وداد، لا إنه مختلف له هالة مربية، يمتليء قلبك بالرعب والنفور منه والقطعة السوداء، التي تلتصق بأصبع البنصر في كف يده اليسرى لا تعرف هل هي خاتم أم قطعة سوداء ملتصقة بأصبعه تثير الاشمئزاز.

يعتبر الشيخ عامر كما يطلق عليه من أقوى الشيوخ لإخراج الدفائن والكنوز الأثرية، واتجاهاته مربية وأبو وداد يفهم ذلك جيداً، ويعلم أن القرب من عامر نار قد تحرق الجميع, لكن لا يمنع هذا حبه له وفرحته لرؤية رفيق العمر.

وفي سعادة بالغة ظهرت في عين أبي وداد وهو يفتح يديه لكي يضمه وتخرج الكلمات بودّ شديد:

- عاااااامر.. ليك وحشه يا شيخ.. نسيتني ده مكنش عيش وملح طيب طمّني عليك عامل إيه؟!!

رد الأخير بابتسامة شاحبة أظهرت ملامح وجهه الكئيب والتجاعيد الشديدة وحروق كثيرة تملأ

قسمات بشرته السمراء:

- الحمد لله يا حبيبي كله بيعدي على خير.. هنتكلم كثير.

نعم الإجابة بسيطة ومقتضبة، لكن لم تكن غريبة على أبي وداد لأن عامر كان جافاً، والقسوة تملؤه، لكنه يعلم أنه يحبه بشدة، لكنه كتله من الصخر تتحرك على قدمين.

وفي هذه الأثناء جلس رجل في منتصف الخمسينيات يرتدي الجلباب الصعيدي المميز بالعمامة وتلفيحتها وملامح وجهه الحزينة، وبجانبه ثلاث سيدات يرتدين السواد ويميز سيدة منهم وشم في الذقن على شكل نقطتين، ويفصل بينهما خط رفيع بالطول، وملامحها توضح أنها أكبرهم سنًا، أما السيدتان الأخريان واضح على ملامحهما آثار البكاء والنحيب حتى أصبح السواد يحيط بأعينهما.

أشار عامر إلى من دخلوا معه:

- أعرفك يا شيخنا على الحاج زيدان من عيلة العوايسة كُبرات البلد, والحاجة بدوية مراته, وبننتهم سنيورة, ودي الله يصبرها رحيمة مرات ابنهم عاطف الله يرحمه.

رد أبو وداد:

- الله يغفر له ويعفو عن ذلّاته.

أكمل عامر:

- من أربع أيام عاطف ابنه اتجتل بخنجر في جلبه ولقو جثته مرميه على الطريق، وهو شاكك إن حد من عيلة مهران هو اللي قتله، والحاج زيدان عايز ياخذ دم اللي قتل ابنه دم بدم مش حد من العيله وخلص.

خرجت الكلمات من الحاج زيدان بمرارة وقهر:

- الجاتل يا أبو وداد الجاتل واللي بدك إياه تاخده.

في أثناء حديث الإثنين بدأت الأم النواح:

- آاه يا ولدي.

قال زيدان بحزم:

- اجفلي خشمك..جريب هيجيلك تار ابنك وصلاح
مش هيهدي إلا لما أخوه ينام في تربته مرتاح.

أكمل عامر:

- ولما جالي, وانت متعرفش هو غالي عندي أد إيه,وهو
من أهل الكرم المعروفين في أسيوط كلمته عنك لأن
اللي محتاجه عندك، إنت معروف بإن مندلك عمره
مكذب، ودي مسأله تخص أرواح ناس، فكان لازم
أجيلك لأن خدامك مش بيكدبوا.

نظر له أبو وداد بخبت لأنه يعلم عامر جيدًا..لا يقوم
بعمل بدون مقابل.

رد عليه أبو وداد, وقال بثقة:

- كله بفضل الله يا شيخ عامر.

ووجه حديثه إلى زيدان:

- ليه متأكد إن القاتل من عيلة مهران؟!

قال زيدان:

- في بئار، وبينهم شراكه في الشغل لكن من فترة جسّمت الأرض بين أولادي، وبعد فترة عرفنا إن في دفينه في الأرض بتاعت عاطف وطبعًا عيلة مهران وصلهم الخبر إنت عارف، إحنا في نجع صغير الأخبار بتتنشر بسرعه فضلت عيلة مهران تلح علينا بحجة إننا شركا في كل حاجه اتقفل بنا الحديت على إن الأرض بتاعتي وارثها عن جدودي مش شراكة مع حد، وبعدها ابني اضرب بخنجر في قلبه، واحنا ما فيش بنا عداوة مع حد.. الله يخليك يا شيخ، طقي نار جلي الجايدة، وعرفني مين جتل ولدى وزي ما جلتك اللي تريده، وازيد كمان.

تنهد أبو وداد وقال:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إن شاء الله خير.

أكمل حديثه قائلاً:

- إنت عارف يا عامر.. محدش يتحرك من مكانه, ولا يتكلم مهما حصل.. أكّد عليهم عشان ما نتأذيش كلنا, والأهم البنت الصغيرة لأنني مش هافتح مندل عادي.. ماشي؟!!

وبنظر تحذيرية لعامر وفي حزم قال:

- إنت لوحدك اللي هتكون في الجلسة خدمك لأ.

قال عامر:

- ابدأ ومتقلّش.

الجلسة الثانية

- على بركة الله بدأنا.

أغلق نور المحراب, ووضع مجموعة مُختلطة من بخور الجاوي والسندروس ولبان الذكر في المنقد, وقام بصرف العامر لكي لا يحدث خلل عندما يأتي من يطلبهم, ويتم العمل بشكل صحيح, أطفأ البخور, وانتظر خمس دقائق وقام بإشعاله مرة أخرى, وأشعل مجموعة من الشموع البيضاء وبدأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

"أقسمت عليكم أيها الملوك والأرواح الرحمانية والنفوس الزكية، أين أنتم أيها المسلمون السامعون الطائعون لكلام الله جل جلاله احضروا بحق"

(وَالصَّافَاتِ صَفًا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ)

وبحق (قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ^ط وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) أجيبوا أيها الملوك والأرواح الطاهرة النورانية أقسمت عليكم بجلال رب الكون العظيم الواحد الأحد الفرض الصمد، أحضروا بحق نور وجه الله العظيم، وأوفوا بعهد الله، ولا تنقضوا الأيمان، وقد جعلت الله عليكم كفيلاً. ووضع يده على رأس ندى بعد أن أجلسها امام المنقدوأمسكها الفنجان وبدأ بالقاء العزيمه .

ترك رأسها فجأة وقام بوضع يديه على أذنيه كاد رأسه تنفجر وقام الجميع بمحاولة، سد آذانهم بنفس الطريقة من شدة الأصوات القادمة من سقف الغرفة لا ليست أصواتًا، إنها فعليًا تشبه الرعد بقوته، وشدته تكاد تصم الآذان، والاهتزازات الشديدة المتفرقة في جميع جوانب الغرفة تشعرك بالصواعق تضرب بالغرفة، وصوت الطقطقة القوي مع الأتربة التي تسقط عليهم مع الشرارات المضيئة التي تأتي من سقف الغرفة يؤكد دون شك أنه سيسقط عليهم ومن الخارج يصل

صوت قوى لتكسير زجاج، وبدأت الغرفة تمتليء بالخيلات التي يستطيع رؤيتها عامر وأبو وداد وندی، أما الآخرون يشعرون فقط بالأصوات، والاهتزازات كأنه زلزال قوي يضرب بهم، ومن الرعب الذي تملك أبو وداد و عامر جعلهم يفكرون بأنها النهاية.

ضم زيدان زوجته والسيدتين بين ذراعيه وهو جاثٍ على ركبتيه، ويردّد برعب شديد:

- يا خفي الألفاف نجنا مما نخاف،

بنحيب من السيدتين:

- يا حفيظ. يا حفيظ.

أما عامر فقد لاذ بزاوية الغرفة، ووضع يده على خاتمه الغريب، وهو يتمتم في قلق شديد بكلمات غير مفهومة لكي يعينه خدامه.. لم يكن خائفًا هو تفاجأ فقط، فهو شاهد أسوأ من ذلك وأكثر، ولكنه صدمته في أبي وداد أنه متمكن ماذا حدث؟ فوجه نظره إلى أبي وداد وهو يشعر كأن جبالاً تنهدم في الغرفة، وهو

عيناه معلقتان بندى وهي لم تتحرك من مكانها، وإذا بالأقلام الخشبية موجهة إلى عينيها وقلبها وامتلات الغرفة بخيالات غريبة متأهبة وثارَت على أبي وداد، وفي المقدمة يقف أمامه ذلك الجني الغاضب بطوله الذي يكاد يصل لسقف الغرفة، ومنكباه العريضتين وضخامته المهولة، وعيناه المسحوبتان إلى أعلى وهما الشيء الوحيد الواضح في ملامح وجهه.

توقّف تفكير أبي وداد عن الخطأ الذي حدث أو إن من الممكن أن يصيبه مكروه، توجه بكل تفكيره في ابنة العشر أعوام التي من الممكن أن يصيبها مكروه، وهي لا حول لها ولا قوة وكأن شيئاً مسح كل الأقسام والتعازيم من عقله الآن كيف ينقذها، ولم يكن هناك وقت للشرود، وبدأ يقرأ قسم.

قام الجني بالإشاحة أمام وجه أبي وداد فلم يستطيع حتى أن يُحرّك لسانه داخل فمه، وبدأ كبيرهم المتوقف أمامه بتحريك الأقلام تجاه ندى، وفي نفس اللحظة ظهرت دائرة صغير خضراء تدور، وندى في داخلها، وإذا بشعاع أبيض ساطع يخرج من داخل الدائرة،

وازدادت سرعة الدائرة وحجمها من حولها لتحتوي ندى بداخلها، وكأن إعصارًا قويًا يدور بشدة داخل الدائرة يخرج منه شعاع ساطع، لا تستطيع أن توجه نظرك إليه لكي لا يختفي بصرك وتوقفت فجأة، وإذ بهم على حوافها إنهم الظلال ولكن لا تقول سوداء.

سبحان الخالق إنهم "عبد الواحد"، "وعبد الصمد"، و"عبد الرحمن" وجوههم كالبدر دائرية كالقمر، وأعينهم التي تشبه لون السماء بصفائه، ولهم نور يخطف الأبصار، وشعرهم المنسدل على الأكتاف بنعومة، وغطاء أبيض على الرأس، حينما تنظر لوجوههم لا تستطيع أن تُحرّك عينيك عنهم من جمالهم سبحان المبدع.

وجّه عبد الواحد، وعبد الرحمن وجوههم إلى ندى لكي يحموها وفي منتصفهم يقف عبد الصمد، وكان ينظر باتجاه كبير الجان الغاضب.

فقال:

- السلام عليكم عباد الله وإخواني.

رد الغاضب, وما تزال الخيالات تائرة, وفي حاله من التأهب

- وعليكم رحمة ربي أتمثلون لساحر؟

رد عبد الصمد:

- معاذ الله.

- إذا من أمركم بحمايتها.

- ليس بأمر، إنه رجاء وتوسل إلى الله من وداد بنت فاطمة.

- الأمر علينا وعليكم هو الله رب العرش العظيم قاسم الجبابرة، فأقسمت عليكم بخالقنا وخالقكم القوي، ألا تمسوها بسوء، إنها مسيرة.

أجاب كبيرهم:

- لكنه ساحر, وهي الوسيط الذي يساعده.

- لكنها جلسة يراد بها خيرًا لمعرفة أمر جلل حتى لا
تهدر الدماء عبثًا.

- هل تقسموا بالله ألا تزيد عن ذلك؟

- نقسم بربنا, وربكم على ذلك ولكم منا السلام والأمان
من رب العالمين, وعليكم السلام أيها الأخ الكريم وعلى
من معك.

وتوجه عبد الصمد بنظرة حادة, وبنبرة تزلزلت معها
الجدران لأبي وداد:

- القاتل هو سعودي من عائلة العويسة ابن عمه.

انه ما بدأت, ودع الطفلة لشأنها, وكفى.

وضع عبد الرحمن يده على قلب ندى, وتلا الصمدية,
وتبسم إليها الثلاثة, واختفت الدائر فجأة.

لا يعلم أبو وداد هل يسعد لانتهاه الموقف أم يبكي على حياة طفلة كانت ستهدر بسببه؟ أم ابنته كيف وصل بها الحال ليكون لها معرفة بهذا العالم؟ نعم هو من تسبب بذلك، ولم ولن يتوقف إلى ماذا يريد أن يصل هو نفسه لا يعلم.

نظر للجميع وقال:

- حدث خطأ، وهذا وارد، والسبب أنها جريمة قتل، فلا بد أن أتعامل مع الموثوق بهم.

ووجه نظرة غاضبة إلى عامر فشعر الأخير أنه سبب ما حدث، لأنه يتعامل مع غير المسلمين من الجان، ولم يكن وحيديًا، أكمل قائلاً:

- القاتل بلا أي تفاصيل هو سعودي ابن عم القتل من العوايسة هذا كل ما عندي.

صرخت الأم:

- يا ولدي الدم بالدم يا زيدان.

تجهم وجهه بدمعة متحجرة في عينيه قال, وهو يكور يده ويضربها باليد الأخرى:

- بكره بعد العشاء هاخذ عزا ابني..أنا كان جلبي حاسس أن جعدته مع سعودي,والمخدرات اللي بيطفحوها سوا, وخرناقتهم الكثير هي السبب وياما منعته من سعودي واللي بيطفحه.. ما فيش فايده آخرتها سواد الله يرحمك يا ولدي.

نظر لبدوية بغضب وقال:

- إنتِ السبب بدلحك المرء ومداريتك عليه لما ضاع.

لم تجد بدوية سوى الدموع, والنواح ردًا على ما قاله.. فقام وأخرج بعض الرزم المالية الضخمة وأعطاهها لأبي وداد وقال:

- راضي البنت, وتسلم على معروفك الكبير.

توجه معهم أبو وداد إلى الباب فقال زيدان بهمس في أذنه:

- هو اللي حصل جوه ده يا شيخنا في ضرر علينا، ولا موقف وخلص.

رد عليه بثبات شديد:

- لأ متخافش كأن محصلش حاجه.. إنت مع أبو وداد.

سلم على عامر لكن في نظرة لوم، فقال الأخير:

- عدّي خلاص.. عايزين نتكلم مع بعض شويه.. هجيلك قريب.

أجاب وبوضوح شديد في وجهه بعدم الترحيب:

- تنور يا عامر.

لم تنتظر وداد أباهما فدخلت مسرعة إلى ندى، وهي لم تتحرك من مكانها، وأحضرت في يدها كوب عصير، حتى تستطيع أن تتمالك نفسها بعد الصدمة الشديدة التي حدثت لها، لن يستطيع أبوها أن ينسيها ما حدث أصبحت واعية لما يحدث، دخل أبوها وفي عينيه

نظرة عطف وظهر عليه الإرهاق وعدم الثقة، ما حدث غريب وكونه لم يستطع التصرف هذا حدث جمل بالنسبة لأبي وداد اللي (يتهاب ولا يُهاب) يجب أن يعيد حساباته من جديد.

قال:

- يا ندى إنتِ كويسه؟

ردّت عليه بجهد كبير ليخرج صوتها من حنجرتها:

- الحمد لله يا عمو.

- طيب يا وداد اشترى لها عروسة, وحاجات حلوة كثير وبعدين رويها البيت.

ردّت ندى بخجل:

- عمو أنا مش عايزه حاجه.. ممكن تخليني مع طنط وداد شويه؟!

لو وضعت يدك على قلب وداد بعد هذه الجملة تشعر أنه سوف يقفز من شدة الفرحة، أول مرة من سنين طويلة شخص غريب يطلب الجلوس معها، والأجمل المحبة التي تظهر من ندى لها، شاهد أبو وداد فرحة ابنته بهذه المحبة التي أنارت قلبها فاختلطت المشاعر في صدره ولكنه سعيد، لم تنتظر وداد رده بالإيجاب أو الرفض، حملتها ولفت بها داخل المحراب نسيت الهيبة الكئيبة التي ترتبط بهذه الغرفة، وأخذت تنهال عليها بالقبلات، ودموعها تنهمر بغزارة من الفرحة، دخلت وداد غرفتها وهي تحمل ندى ووضعتها على السرير وجلست أمامها تنظر إلى وجهها الملائكي المرهق، وقالت:

- تاكلي ولا أجيبك شيكولاته؟

تمسكت ندى بيدها، وهي تتحرك من جانبها، وقالت الصغيرة:

- طنط إيه اللي حصل في الغرفة، ومين اللي كانوا جنبي وشكلهم أمور أوي دول؟ وأصحابنا "الظلال

السودا" مكنتش معايا ليه؟ والناس المرعبة كانوا عايزين ياذوني ليه؟ عملت لهم إيه مش عارفه ده كان هيخرم السقف، وكان عنيه فيها شمعة منورة أنا خايفة.

وبدأت تشعر بما حدث وكأنها كانت في غيبوبة، وأفقت فجأة وانفجرت باكية وألقت بجسدها الصغير بين أحضانها.. ضمتها الأخيرة بقوة، وأخذت وجهها بين يديها ونظرت في عينيها بحب، وقالت:

- أنا هحكىك حكاية هتفهمني منها كل حاجة ماشي يا قمراية؟! بس من غير دموع.

مسحت ندى دموعها بظهر كفها الصغيرة، واعتدلت في جلستها وقالت باهتمام:

- ماشي.

بدأت تروي وداد:

- بُصي يا قمراية في مخلوقات غيرنا في الدنيا في الحيوانات والنباتات والأسماك وفي بني آدم وفي مخلوقات زينا بس دول اسمهم بنى الجن بياكلوا ويشربوا وعندهم أطفال وبيروحوا مدارس كمان وليهم حياتهم، ولكن هم شكلهم مختلف عننا وهم في حالهم لأن ربنا حكم عليهم يشوفونا واحنا مانعرفش نشفهم والله أعلم دي نعمة لهم أو ابتلا ربنا وحده الأعلم، وهما في حالهم خالص لكن في ناس زي بابا بيعرف يشوفهم وبيطلب منهم حاجات يساعد بيها الناس، ودول طيبين وفي نوع شرير مالناش دعوه بيه لأنه مؤذي جدًا، وفي نوع جميل قوي يطلق عليه أحباب القرآن، وفي ناس يقولوا عليهم خدمة القرآن ودول يا قمراية، أحباب القرآن ومخلصين لله رب العالمين وهم من الأتقياء ولما بيسمعوا لحد بيقرا القرآن، يذهبون إليه لكي يستمعوا له ويستمتعوا بما يتلوا ولينالوا الأجر والثواب من الله عز وجل، ومجموعة أخرى لا أحد يطلبها أو يأمرها بشيء لكنها من الممكن تساعد بعض الأشخاص لوجه الله، دون أن

يعلم هذا الشخص وهذه المجموعة تُفضّل الجلوس في المساجد.

وتوجد مجموعة أخرى مُسلمة أيضًا وَهَبُوا أَنفُسَهُمْ لخدمة من يقرأ القرآن.

نظرت لها ندا بتعجب لما تسمع وسألت:

- يعني إيه وهبوا أنفسهم؟!

ردّت وداد بعد أن داعبتها قائلة:

- مركّزة معايا يا شقية؟!

وقامت بدغدغتها فلم تتمالك الصغيرة نفسها فعلاً صوت ضحكتها البريئة لأول مرة من فترة طويلة.

أكملت وداد حديثها بمعنى أنهم بداخلهم يشعرون بالرضى والسعادة لعمل الخير، ومساعدة المحتاج وتقديم الجهد والوقت في سبيل الله تعالى لمن يقرأ القرآن، وكل سورة أو آية لها أحباب مرتبطين بها، ومن

يُداوم على قراءتها كثيرًا، يكونون عونًا له ويساعدونه من شدة حُبهم لما يقرأ فكل من تلاها أو أقسم بها عليهم قاموا بفعل ما يريد من خير، ولو طلب منهم شر أو أذى لأشخاص غضبوا بشدة، ولا يحضرون مجلسه مرة أخرى.

أما بالنسبة للرجال الطيبين اللي كانوا معاكي في المحراب دول أحباب سورة (الصمدية أو الإخلاص) وأنا قريبة منهم لأنها ذكري الدائم، وبتوسل بيها الى الله فكانوا معايا لحبهم للسورة، ومن لحظة ما دخلت البيت، وأنا طلبت منهم بتوسل بالله العظيم إنهم يكونوا معايا، فهم من أرسلوا لك هذه الظلال السوداء علشان ما يتعرضلكيش أي جني بسوء، ولما حسيت بالخطر عليكي طلبت منهم يكونوا جنبك.. فهمتي يا قمرايه؟!

- يعني شويه.

وببلاهة أكملت:

- متهيألي.

- اسمعيني كويس يا ندى أنا غصب عني اللي هقوله
لكن لوجه الله بلاش تيجي هنا تاني، إنت عارفه إني
بحبك، وخايفه عليك متجيش تاني عشان متبقيش
زي وحيد، خايفة.

- طيب أنا عايزاكي معايا يا طنط على طول، ومش
عايزه أسيبك، ولو مش هاجي يعني مش هشوفك
تاني؟!!

- أنا هاجي أطمئن عليك، وكمان على طول تقراي
الصمدية عشان تكوني بخير دايماً، طيب يالا عشان
تروحي البيت، وركزي في المذكرة عشان تكوني
دكتوراه أدا الدنيا.

ردت بسرعة:

- أنا هكون مضيضة طيران.

ابتسمت ندى لأنها تذكرت جدّها محمد، وهو يصرخ
بيها ويقول "عايزه تطلعي خدامة يا جزمه؟!"

وصلت المنزل، وقامت نادية بتحضير الطعام وبعد
الانتهاء قالت ندى:

- ماما أنا هنام.

- ماشي يا حببتي.. بكره إن شاء الله عزّفي أبله راندا
إنى هستناها تيجي معكي بعد المدرسة عشان أخذ
مقاستها.

- حاضر يا ماما تصبحي على خير.

الساعة الثانية بعد منتصف الليل داخل المحراب جلس
أبو وداد أمام المنقذ يفكر بما حدث اليوم، ويجول
بفكره ليعرف من أين أتى الخطاء ولكن الاحتمالات
كثيرة فقرر الاستعانة بتيم، فأشعل البخور وقام بإلقاء
تعزيمته فظهر الأخير من العدم أمامه فقال بغضب:

- ماذا تريد مني ألا يكفيك أنك كدت تتسبب في قتل طفله ألا تخجل؟

وجه أبو وداد إليه الحديث قائلاً:

- هذا الكلام يدل على وجودك ولم تُقدم على حل الموقف.

أجابه تيم:

- أنت لم تستدعني أو بالأحرى لم تجبرني لكني كنت أود المساعدة لأجل هذه الطفلة التي تأخذ بيدها للهلاك عليك لعنة الله.

رد بانفعال شديد وقال:

- أنت لا تعرف شيء أنا أقوم بمساعدة الناس في الخير.

- أي خير تتحدّث عنه عندما تأتي سيدتان يريدان أن تتبادلا زوجيهما!.. هذا مجرد مثال وإذا بدأت في

الحديث لن أنته.

- أنت لست من هذا العالم كي تُصدر الأحكام، ما قمت به كان هو الحل الصحيح، وهو أفضل من الزنى، والخيانة.

- ليس لي معك حديث بعقلك العقيم هذا، أنت ستظل كما أنت.

- انه هذا الشجار الآن، وأخبرني سبب الخطأ في الجلسة.

- عامر صديقك لم يكن بمفرده، وهو يتعامل مع الجان الكفرة وكذبك القول حينما قال إنه وحيد بل كان معه خادمه "شلهوم"، أما من حضر إليك فهو من مسلمي الجن الضوئي فثار عليك، لوجود عامر، وخادمه الكافر فقرّر القضاء عليكم، لولا تدخل الإخوة الكرام "عبد الواحد وعبد الصمد وعبد الرحمن" بارك الله فيهم وعليهم بدونهم كنت أنت، ومن معك في طي النسيان.

قام بقراءة سورة الزلزلة وبعض آيات من سورة الجمعة، انصرف من مكانك بحق الرب الجليل صاحب الاسم العظيم الأعظم.

* وأنه من سليمان، وأنه بسم الله الرحمن الرحيم، وبحق إنه لقسم لو تعلمون عظيم (الوحا- ا لوحا- العجل- العجل- الساعة- الساعة) بارك الله فيك وعليك.

وضعت ندى رأسها على المخدة وراحت في نوم عميق لقد أرهقت نفسيًا وجسديًا بسبب هذه الجلسة، ولم تسألها أمها عن شيء كأنها لا تهتم أو لا تذكر شيئًا بل فعل، وفي الصباح استيقظت ندى والألم ينتشر في جميع أنحاء جسدها الصغير، حتى أنها كانت لا تستطيع التحرك الا بصعوبة شديدة، فقالت بألم وهي ترتدي ملابسها:

- ماما أنا تعبانة ومش قادره أروح المدرسة.

ردت نادية بانفعال:

- بلاش دلع يالاً خلّصي بسرعه عشان متأخروش.

فهمت ندى أن لا داعي للمحاولة، فأمسكت بيد أخيها واتجها إلى المدرسة.

جلست في الفصل وهي ناعسة العينين لا تستوعب ما يُقال أو يحدث من حولها.. هي في عالم والتلاميذ في عالم آخر.

انتبهت أبله راندا إليها، وهي ساكنة في مكانها على غير طبيعتها فتوجّهت إليها وقالت بحنان:

- مالك يا حبيبتى؟ إنتِ تعبانة؟! تعالي معايا للحكيمة.

رفعت ندى وجهها إليها فتفاجأت راندا بالهلات السوداء التي تحيط بعينيها وقالت بقلق:

- يالاً تعالي معايا.

دخلت بها غرفة الحكيمة، وطلبت منها أن تطمئنها؟

قامت الحكيمة بفحصها سريعًا، وقالت:

شكلها عندها أنيميا حادة وإرهاق شديد، أنا هكتبلها طلب أجازة ولازم تروح لدكتور متخصص علشان يشوف حالتها أفضل.. إنت عارفه أنا هنا للطوارئ بس.

شكرت راندا الحكيمة, وأخذت الطلب وذهبت بها إلى المنزل، قابلتها نادية بترحاب, ولكنها لاحظت ابنتها في حالة إعياء شديد، قالت في قلق شديد:

- إيه اللي حصل؟

أجابتها راندا مُسرعة لثهديء من روعها:

- واضح إنها عندها أنيميا, ولازم توديتها لدكتور عشان نطمّن.

أدخلتها نادية إلى سريرها, وأحضرت لها سريعًا نصف كوب من العسل الأسود, وبعدها أنهته واطمأنت قليلًا تركتها لتنام، وتوجهت للخارج لكي تأخذ مقاسات راندا.

قالت:

- والله واحشاني.. أخبارك إيه والولاد عاملين إيه؟
- الحمد لله بخير لكن الشغل مع البيت وطلباته, ومجهود الولاد لوحده مُتعب.
- ربنا يعينك.. الزمن اللي إحنا فيه صعب الغلا بياكل فينا يلا ربنا يصلح.
- كنت عايزه أعمل فستان عشان فرح أختي لكن لما لقيت ندى تعبانة نسيت أجيب القماش معايا.
- كتر خيرك أنا هاخذ المقاسات, واختاري الموديل, وابعثي القماش مع ندى.
- لأ ندى أخذت أجازة من الحكيمة لحد ما تروح للدكتور.. أنا هجيبيها.
- تنوريني, والله بقيت قلقانة عليها لازم أطمئن فعلاً ممكن أطلب منك طلب.

- اتفضلي أحنا أخوات.

- كنت عايزه آخذ درس عندك نفسي أتعلم, وأعرف أقرأ.. جهلي محسّسني بالنقص.

- أنا فخوره بيكي بجد إنك بتفكري تتعلمي, وأنا معاكي وكمان لو شدّيتي حيلك معايا هقدّمك في محو الأمية بعد ما أأسسك في القراءة, والكتابة كويس.

- شكرًا يا أبله راندا تاعينك معانا, وتملي بتشجّعيني.

- لا أبدًا متقوليش كده.. لازم نساعد بعض أنا همشي وخلي بالك من ندى.

الحلم 2

دخلت ندى في سبات عميق بين اليقظة والنوم وإذ بقصر كبير في وسط الصحراء وهي بداخله تقف على باب غرفة من الغرف الصغيرة جدًا وجميعها متصلة معًا، والممرات ضيقة ولكنها ذات طول غريب، وممتلئة بالمشاعل التي تبعث على الشعور بالرهبة، وفي داخل الغرفة تنام ثلاث فتيات، وفجأة بدأ اهتزاز شديد للقصر لم يكن زلزال، بل هناك من يريد هدمه ففتحت الفتيات أعينهم، وقالت أحدهما لقد أتى ولم تنه جملتها، وإذ بثعبان كبير الحجم لدرجة أن رأسه لا يستطيع أن يدخل من باب الغرفة وباقي جسده يصل إلى منتصف الممر، صرخت الفتيات برعب وبدأت بالهرب من غرفة إلى أخرى والثعبان يتابعهم ويحاول أن يصل إليهم وندى تجرى خلفهم وتصرخ، ولكن لا ينتبه لها أحد إلى أن دخلوا غرفة ولحقت بهم وقالت ما هذا أين أنا ومن أنتم وماذا يحدث، نظرت الفتيات إليها فصرخت ندى يا الله، كانت أعينهم شعلة من النار

حاولت أن تهرب منهم، لكن تمسكت بيدها واحده منهم وقالت ستكونين معنا.

استيقظت من نومها وهي تتنفس بصعوبة شديده وتبكي في صمت وتلت الصمدية كما أخبرتها و داد، وبعد أن هدأت جلست أمام التلفزيون قليلاً.

دخلت عليها نادية وقالت:

- أنت صحيتي يا ندى.

ردّت, وهي في شرود تام:

- لسه صاحيه من شويه صغيرين.

مرّت الأيام, وندى تُخفي ما تمر به, وهي لا تعلم أنها مُجبرة على الكتمان نظرتها إلى النوم الآن اختلفت فهو الحرب في الليل الدامس مع الأيادي الصغيرة التي تُصر على أن تجذبها إلى المجهول أو القصر المرعب بثعبانه القاتل والعيون النارية.

لا يطمئنها في كل هذه الأحداث المخيفة إلا هذه الظلال السوداء، لكن ليس المظهر دائمًا يدل على ما بداخله أنهم يؤنسون ليل خوفها بهمسات خافتة تشعرها بالارتياح وبعد مشاهدتها لكبارهم الأحياب "عبد الواحد وعبد الصمد وعبد الرحمن" زاد تعلقها بهم أكثر.

أكملت نادية حديثها:

- طيب يلاً اجهزي إنتِ, وأخوكي عشان تيجوا معايا الشغل.

بدون تعليق قامت ندى بحركة آلية.. استعدت هي وأخوها واتجهوا جميعًا إلى المصنع.

توقفت نادية في الطريق, واشترت عصائر لندی حتى تستعيد نشاطها قليلًا إلى أن تذهب بها إلى الدكتور.

دخلوا المصنع، وبدأ الترحاب بالأطفال، قالت عواطف إحدى زميلتها:

- يا ولاد وحشتوني مش بتيجوا مع ماما ليه؟

رد الصغير:

- ماما مش بترضى.

قالت نادية:

- المدارس والمذكرة.

قال الأسطى أسامة:

- تعالي يا ندى اعلمي الجاكت ده أوفر أنا عارف إنك
بتحبي تقعدى على المكنة بتاعتى.

ردت بهدوء لم يعتده:

- شكرًا يا عمو.

نظر لها وقال:

- هي تعبانة يا نادية ولا إيه؟

- مش عارفه يا أسامة والله مالها اليومين دول، حتى
تعبت في المدرسة والحكيمه إديتها أجازة، والمدرسة
بتشتكي منها إنها مش بتركز في الفصل، وعلى طول
نعسانه.. ارقبها يا ناديه شكلها اتحسدت.

دخل أستاذ مجدي من الباب، وتوجه إليها مسرعًا
ورفعها إلى الأعلى وقال:

- حبيبتى وحشتيني.

وقام بتقبيلها على وجنتها، وقام باحتضان أخيها وقال
بصوت أجش:

- عامل إيه يا بطل؟

ونظر لنادية بلوغة تظهر في النظرة والنبرة:

- عامله إيه؟

الحمد لله عقبال ما نشيل أولادك يا رب، لم يعلق ولكن
نظرات العاملين أگدت لها ما تشعر به أنه يريدك أنت،

وليس شخص آخر، قال مسرعًا:

نتغدى سوا كلنا يا جماعة مدام الولاد هنا.. نادية،
والبنات يعملوا ملوخية بالأرانب، وباميه ورز أصل
وحشنا أكلك يا نادية.

نظرت نادية بتوتر للبنات فأشاروا لها بالموافقة، فقالت
بتردد:

- من عينيا يا أستاذ مجدي.

جاءت عواطف بالطلبات، وعندما شاهدت ندى الأرنب
مسلوخ الجلد وجسده ينبض.. دخلت في نوبة صراخ
وبكاء هستيرية حاول الجميع أن يهديء من روعها
لكن كل المحاولات باءت بالفشل، ولكن الأسطى أسامة
وضع يده على رأسها، وبدأ في تلاوة بعض سور القرآن
القصيرة إلى أن وصل إلى سورة الصمدية فبدأت تهدأ،
انفعل مجدي على نادية وقال:

- البنت مش طبيعية هي مالها فيها إيه؟

وبكاء شديد ردّت نادية:

- والله ما أعرف فيها إيه؟

قال بعصبية:

- يالّا عشان أروّحكم.

وانقلب اليوم لكآبة, ونكد حمل ندى وأخذت نادية صغيرها، وركبت بجانبه السيارة ولم يجف دمعها.

فقال:

- يا نادية مكانش لازم تيجى النهارده مدام البنت تعبانه أوي كده.

ردت:

- أنا كنت هوّديها للدكتور والله.

- أنا هتصرّف وهاجي أوّديها للدكتور.

- متزعلش منى ماينفعش تيجي، عشان الناس هتتكلم.. أنا لوحدي وجوزي مسافر كتر خيرك لحد كده.

وقف أمام منزلها وطلبت من حسن البقال أن يحمل ندى لأنها مريضة, وبالطبع بّرت مجيئها في السيارة مع أستاذ مجدي.

- خير مالها؟

خرجت الجملة من حسن, وهو يحمل ندى، قالت:

- عيانه شويه, وهوديها لدكتور.

جلست بجانب ابنتها وهي تهمس يا ترى مالك فيكي إيه أفهم بس، سمعت صوت التلفزيون يرتفع فجأة إلى أن أصبح مزعج، فخرجت لكي تنهر صغيرها على اللعب بالتلفزيون, لكنها وجدته كما تركته نائمًا على

الكنبة فأغلقت التلفزيون دون أن تهتم وحملت الصغير إلى سريره.

عند الساعة الثامنة مساء أخذت نادية ابنتها للدكتور الذي أمام المنزل فهي تعرفه معرفة شخصية، فهي تقوم بتفصيل أغلب ملابس زوجته وهي من زبائنها الأعداء، قام الدكتور بلهجته الصعيدية المميزة التي لم تتغير حتى مع مرور السنين بالقاهرة:

- أهلاً أهلاً أهلاً، خير في إيه؟

أخبرته بحالتها، فقال:

- لأ لأ لأ.. هي بتدلع ماشي هتاخذ حقنة.

هنا فاقت ندى، وانتفضت، وقالت بتوسل:

- حقنه لأ والنبي يا دكتور.

- طيب هتاكلي كل اللي هقول عليه وتاخدي الدوا ومتقوليش مُر؟

- ماشي ماشي ماشي.

قال لنادية:

- لازم تحاليل, والأدويه دي للأنييميا, وأكليها خضار,
وفاكهة, وعسل أسود.

- شكرًا يا دكتور على الدواء, مش عارفه من غيرك كنت
عملت إيه؟!

- عيب دي بنتي.

أعطتها نادية الدواء وجلست وهي ضماها في حضنها
وقالت:

- إنتِ في حاجة مضايقاكي؟ طيب الولاد الرخمين
زعلوكي تاني؟ عرّفيني فيكي إيه؟، أنا حاسه أن اللي
إنتِ فيه مش تعب في حاجة مخبّياها عني أنا ماما
حببتك احكي لي.

لم تُعلّق ندى سوى أنها غاصت أكثر في حضنها, ونزلت
دموعها في صمت:

- طيب يالاً عشان تنامي.

تمسكت بها أكثر, وقالت:

- والنبى يا ماما لأ خلىني معاكي مش عايزه أنا.

قالت بهدوء:

- يالاً اسمعي الكلام, وأنا هفضل جنبك.

نامت ندى من تأثير الدواء, ومرة أخرى ارتفع صوت التلفزيون في الخارج فقامت نادية لتري، كيف يعمل التلفزيون من تلقاء نفسه فالجميع نام فتوجهت إليه ولم تجد سبب منطقي فقرّرت أن تفصل التيار الكهربى وفعلت ودخلت لشكل نومها، ولكن مرة أخرى يرتفع صوت التلفزيون فقامت وهي تردد "بسم الله الرحمن الرحيم" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فوجدت التلفزيون يعمل ويعرض على الشاشة طفلة صغيرة تجلس أمام مبخرة، وفي يدها فنجان ورجل يضع يده على رأسها.

وقفت في ذهول، وهي لا تفهم ما هذه الصورة وكيف يعمل الجهاز، ويقوم بالعرض والكهرباء منفصلة عنه، لا تعلم أنها رسالة تحذيرية من الظلال السوداء لكي تفهم سبب ما ألمَّ بابنتها.

لم يغمض لها جفن وجلست في البلكونة تفكر هل هذه الصورة تدل على ندى:

"مش عارفة.. لأ ممكن يكون الرجل الشيخ ده السبب يا ربي أنا غلط ولا إيه؟، نيّتي كانت خير، وأنت عالم أنا تعبت، وخالد اللي مش في دماغه حاجه وسايبنا.. يارب احفظ ولادي وعزّفني أعمل إيه؟!

ظلت تائهة في تفكيرها إلا أن تملّك منها النعاس فقرّرت أن تخلد إلى النوم، وفي الصباح قامت ندى، وأيقظت أخوها واستعدا إلى الذهاب للمدرسة، ولم

توقظ أمها لأنها كانت تشعر بكل ما حدث فهي لم تنم
أيضًا فمجرد أن تشعر بالنعاس تعرف أنها الحرب
المرعبة, وفي أثناء الحصة توجهت إليها أبله راندا
وقالت:

- بقيتي أحسن يا ندى دلوقتي؟!!

نظرت لها بشرود:

- الحمد لله الحمد لله، آه كويسة.

قالت:

- طيب.. أستاذ عادل مستنيكي في الحجرة
الموسيقية.

توجّهت لغرفة المتعة, والأحلام التي بها تشعر أنها
تملك كل شيء, ولكن لم يتحرك لها ساكن، وظلت
شاردة، فاقدة للتركيز, وتخطيء كثيرًا أثناء العزف.

فتوقف الجميع بعد طلب أستاذ عادل بالانتهاء وتوقف
الحصّة فخرج جميع التلاميذ لكنه استوقف ندى،
وقال:

- إنّي مكنتيش مرگزه النهارده, وضبيّعتي اللحن كثير.

قالت بنفس نظرة الشرود:

- معلش يا أستاذ.

عادت ندى إلى المنزل، وفي أثناء سيرها أوقفها جدو
محمد:

- يا زفته

توجّهت إليه بهدوء دون أيّ تعبير.

وضعت جسدها بأكمله بين يديه ورفعت يده ووضعته
على رأسها وأغمضت عينيها.

لم يفهم جدو محمد ما بها هذه أول مره تكون بهذا
الوضع سلوكها غريب.

تراجع خطوتين وانحنى لينظر لوجهها بتمعن وجد
دموع متحجرة رافضة، أن تترك عينيها، وقال بعطف:

- مالك يا ندى فيكي حاجة؟

لم يجد منها جوابًا.

تركته, وهرولت مسرعة إلى المنزل..بماذا تجيب عندما
تريد أن تتحدث عن الأشياء المرعبة التي تجعلها تكاد
أن تُبلل ملابسها من الخوف فتشعر بجمرة موقدة
داخل فمها.

استقبلتهم نادية باهتمام شديد:

- حمد الله على السلامة.. عملتوا إيه النهارده؟

رد الصغير:

- الحمد لله.

ولم تعلق ندى.. اتجهت إلى الغرفة، وأغلقت الباب
عليها.

لحقت بها وقالت:

- في إيه؟ مالك؟ حتى ما سلّمتيش عليّا.. ليه الوحاشه دي؟

ردّت عليها:

- مافيش يا ماما بس بابا وحشني، أنا عايزه أكلمه، والنبى وأعرف هيجي إمتى؟

- حاضر يا حبيبتى.. بكره هنروح السنترال، ونكلمه.. خلاص يا ستي مبسوطه؟

وبابتسامة شاحبة تظهر مدى الإرهاق التي باتت فيه قالت:

- ربنا يخليكي ليّا.

سمعت نادية طرقات على الباب فإذا بها أبله راندا.. قابلتها بترحاب شديد.

قالت راندا: معلش الوقت هتعبك معايا، أنا جبت القماش بصى كده وقوليلي رأيك حلو ولا أشتري غيره. ردت عليها الأخيرة تحفة، جميل أوي وكمان هيليق أوي على الموديل اللي اختارتيه هتبقى قمر.

قالت راندا:

- ده من ذوقك.. تملّى بترفعي معنوياتي.. يلا نبتدي الدرس.. بصي الكتب دي جبتهاك هتساعدك كتير.

- تسلميلي يا رب.. تفتكري هنفع؟!

- إنت نبیة، ومدام عندك استعداد هتوصلي للى انتي عايزاه، صحيح هي ندى زعلانة من حاجه؟ مُدرّس الموسيقى اشتكى إنها مش مهتمه زي الأول، وعلى طول تايهه في الححص كأنها في عالم ثاني لوحدها، والله ما بقتش عارفه أعمل إيه معاها هي مرتبطة باباها جدًّا، ومش متعوده على غيابه، ونفسها تشوفه.

انتهى اليوم، وندی تحاول أن تقاوم الخوف بشعورها بأنها ستسمع صوت باباها في الصباح.

أيقظتها أمها هي وأخيها وهي تتحدث بعجلة:

- يالا عشان نلحق نكلم بابا.

قفز الجميع من على السرير، واستعدوا في سرعة غريبة واتجهوا للستترال، أجرت نادية المكالمة، وبدأ الحديث بلهفة ومودة، وأكملت بعتاب:

- يا خالد كده كثير عليا وعلى الولاد، وندى تعبانة، ومحتاجالك.. طيب تعالى أجازة، وارجع تاني.

رد الأخير بانفعال غير مبرر:

- هو أنا بلعب؟ الغربية دي عشانكم.. أعمل إيه؟ هو بمزاجي أنا طالع عيني هنا شقى، وقرف، ومرمطة.

حاولت أن تمتص غضبه وقالت:

- طيب كلم الولاد.

سَلَّم على الصغير، ووعده بالألعاب، لم تستطع الانتظار جذبت ندى السماعة من أخيها بشدة وقالت:

- بابا حبيبي وحشتني عامل إيه؟، هتيجي إمتى؟ أنا عايزاك معايا طيب أجيلك أنا؟!.

قال بحنان:

- يا حبيبتى مش هتأخر.. قريب هاجي، وكل اللي إنت عايزاه هجبهولك.

- أنا عايزاك إنت يا بابا.

قالت في نهاية المكالمة:

- بابا أنا خايفة.

وأغلقت الخط لأن مده المكالمة انتهت.

وهنا انتبه خالد أن هناك شيئًا غريبًا في طفلته، ليست ندى من الأطفال ضعاف القلب أو تهتز ثقتها بنفسها بسهولة وكما يقال "البت حبيبة أبوها".

وصلوا عند المنزل وقالت نادية:

- خدى أخوكي, واطلعي البيت, وأنا هشتري شوية طلبات, وهطلع وراكم.

دخلت ندى إلى البلكونة تنتظر أمها فنظرت إلى الكرسي الذي يحركه أخيها ليقف عليه فقالت بفرع:

- لأ كده هتقع.

نظر لها بغضب شديد وأصبحت عينيه شديدة الاحمرار.

جاءها صوت أخيها من الخارج:

- يا ندى تعالى شغالي التلفزيون.

وجّهت نظرها إلى مصدر الصوت وجدته يقف أمام التلفزيون بدأت تشعر ببرودة شديدة في جميع أنحاء جسدها رغم ارتفاع درجة الحرارة، وكاد قلبها أن يخرج من مكانه حينما قررت أن تنظر مرة أخرى إلى من بجانبها، فوجدته كما هو بنفس النظرة، وزاد عليها

ابتسامته الخبيثة التي أظهرت أسنانه المدبية.. لم تتحمل أكثر فتهاوت إلى الأرض مغشيًا عليها.

دخلت نادية المنزل بعد عودتها لتجد صوت صغيرها ينتحب من كثرة البكاء، توجهت إليه مسرعة لتجد ندى مغشيًا عليها، وفي لهفة وقلق حاولت إفاقتها، لكن لم تفلح محاولتها فنظرت من البلكونة وبكاء حار صرخت:

- الحقني يا عم محممممم.

انتبه عم محمد لصوت الاستغاثة، ونظر إلى أعلى فوجدها تصرخ فقال بلهفة شديدة:

- في إيه مالك؟

أسرع إليها، وكان في أعقابه عاطف بائع الخضار، وحسن صاحب محل البقالة، ولحق بهم أحمد ابن الجيران والجميع يسأل:

- ماذا حدث؟

فتح الصغير الباب ليجدوا نادية تحتضن ابنتها وتولول
على ما أصابها.

صاح بها عم محمد:

- لا إله الا الله، البنت فيها إيه؟

- معرفش أنا جيت من المصنع لقتها كده بتموت صح
يا قهرة قلبي عليكى.

قام عاطف بوضع الصغيرة على سريرها، وقال:

- نجيب دكتور؟

دخل أحمد إلى المطبخ وأحضر كوب ماء بالسكر،
وحاولوا باستماتة إفاقتها إلى أن بدأت في فتح
عينيه، اطمأن الجميع أنها بخير.

ولكن عم محمد زاد قلقة لأنه كان يُرقيها، وهي تنتفض
بين يديه فهذا ليس طبيعيًا.

قال:

- الحمد لله.. يالاً يا جماعة البنت بخير.

وقال:

- شغلي قرآن في البيت, ولو في حاحه ابعتيلي.

قالت بصوت متحشرج من كثرة البكاء:

- يا رب يخليكم، معلىش تعبتكم معايا.

ظنت نادية أن ما حدث لابنتها هو بسبب الأنيما التي تعتبر شيئاً عادى بين الأطفال لم يمر بخاطرها أن المندل قد يكون السبب.

ما زالت ندى في حالة صدمة شديدة لكنها تسمع همسات خافتة تخبرها أن تهرب وألا تعود، وفي حيرة لا يستوعبها عقلها الصغير من ماذا تهرب ولا تعود إلى أين، هل تهرب من جلسات التحضير بالفعل هي وعدت طنط وداد، بأنها لن تأتي مرة أخرى من ماذا تهرب أنها بالفعل لم تفهم.

جلست نادية بجانبها وهي تبكي بشدة وتردد:

- إخص عليك يا خالد إنت السبب في اللي بنتي فيه.

مرة أخرى التلفزيون يرتفع صوته, ولكن كان ابنها أمامها, خرجت لتجده يعمل بدون أن يقوم أحد بتشغيله تذكرت ما حدث من قبل.

تشعر أنها مغيبه لماذا لا تربط بعض الخيوط ببعض؟
لماذا يقف عقلها عن التفكير في السبب الحقيقي؟ لهذه الأحداث الغريبة؟ نعم إنها تعويذة أبي وداد هي ما تغلق عقلها.

وقفت حائرة:

"هو التليفزيون بايظ, ولا إيه؟ هو دييه لعم سمير جارنا يصلحه.

وبدون سابق إنذار ارتفع الكرسي إلى أعلى, وسقط على الأرض بعنف شديد, صرخت ولكن صوتها لم يخرج لقد جف حلقها تمامًا, امتلأت في لحظات الغرفة

بعدد كبير من الظلال السوداء لدرجة أنها شعرت بضيق الحجرة عليهم فلم تستطع التنفس أصابها الرعب الشديد، وظل لسان حالها يردد:

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم- بسم الله الرحمن الرحيم- يا حفيظ".

وبدأت تسمع همسات، ولكنها لا تفهم ما الذي يقال، إلى أن وصل لأذنها صوت جهور قوي يقول:

احمي ندى لا تجعلها تذهب إلى هذا الرجل مرة أخرى، اللهم بلغت اللهم فاشهد بأننا بلغنا الرسالة.

تلاشت الظلال السوداء فجأة كما ظهرت فجأة.

ارتمت نادية على الكرسي كأنها لوح ثلج يسيح من شدة الحرارة بجسدها. لم تكن تفكر، بل كانت في حالة صدمة استمرت في الشرود المبهم مثل التائهة، وعلامات الاتجاهات تملأ المكان ولا تعرف أن تقرأها أو من أين تبدأ خطواتها أخرجها من هذه الحالة صوت طرقات على الباب، قامت في حركة آلية بطيئة لتجد

عواطف زميلة العمل على الباب لم تعلق، أو ترحب
ببها كعادتها بل ظلّت ثابتة في مكانها أمام الباب حتى
تعجبت الأخيرة فقالت:

- هو أنت فيكي حاجه؟, ولا إنت مش عايزه
تشوفيني؟

نظرت لها نادية, وبدأت الدموع تنهمر من عينيها دون
أي تعبيرات، تغيرت نبرة صوت عواطف وقالت في
تأثر:

- مالك يا نادية؟ في إيه؟ الولاد كويسين؟

نظرت لها بحدة وقالت:

- بنتي؟

وجرت مسرعة إلى الغرفة لتطمئن على ندى، وإذا بها
نائمة ببراءتها المعتادة، ضمتها إلى حضنها بحنان،
وهي تهمس:

- أنا السبب يا بنتي، سامحيني.

ودموعها لم تتوقف.

كانت عواطف خلفها من شدة القلق واللهفة التي تحدثت نادية بهما عن ابنتها، فلم يكن منها إلا أنها ذهبت خلفها مسرعة حتى تطمئن هي الأخرى على البنت، ربتت عواطف على كتفها، وقالت:

- البنت نائمة يلا نطلع برة.

أجلستها عواطف على الكنبه بهدوء، وقالت:

- هي ندى تعبت زي لما كانت معانا في المصنع؟

هزّت رأسها إيجاباً.

قالت عواطف:

- نوّديها لشيخ.

وهنا كما يقال القشة التي قصمت ظهر البعير.. حاله هيستريا انتابتها من الصراخ ليصل الصوت من شدته إلى مسمع الجيران:

- شيخ ثاني لأ، متقوليش شيخ، متقوليش شيخ، سيبيني في حالي، أنا تعبت، بنتي بتروح مني كفايه نصايح ودتني في داهيه.

لم تغضب عواطف، شعرت أن هناك شيئاً خطأ، ونادية ليس هذا طابعها، إنها بشوشة، وكريمة، وحسنة الخلق، فانتظرت إلى أن هدأت قليلاً، وقالت:

- عايزه تحكي أنا ستر وغطا مش عايزه براحتك، بس أنا مش قادره أمشي، وأنت في الحالة دي.

قالت نادية:

- سامحيني إني أتعصبت أدامك وخرجت عن شعوري، بس ربنا يعلم بيا، معلش، أصل تعب ندى جنني خالص، خير إنت جايه تقعدني معايا شويه ولا في حاجه؟

ردّت عليها عواطف بنظرة تدل على عدم التصديق،
ولكنها قالت:

- أستاذ مجدي بعثني عشان أطمئن على ندى وأشوفك
لو عايزه حاجة، وإداني الظرف ده، وقال أدي هولك،
وقال يا ريت تتصلي بيه.

نظرت نادية إلى الظرف فاستنتجت أنه أرسل لها نقودًا
حتى لا تحتاج شيء فقالت:

- حاضر يا عواطف هنزل أكله من الستترال اللي جنب
البيت وقوليله شكراً على الفلوس.

قامت عواطف وتوجّهت إلى الباب، وقالت:

- لو في حاجه محتاجاني فيها قوليلي على طول إحنا
إخوات وجمايك مغرقاني.

عيب متقوليش كده تسلميلي يا عواطف ربنا يديم
الموَدّة.

حاولت نادية أن تستجمع شجاعته لكي تفكر في حلّ لما يحدث لندی، فلم يستدل تفكيرها إلا لعم محمد هو مثل أبيها ويحب ندى كحفيدة له، والبنت أيضا تبجله، لكن من أين تبدأ؟ هي تعلم أنه سوف يُلقى عليها باللوم، وهي لن تتحمّل، ولكن الوقت ليس في صالحها، لكي تفكر في أي شخص آخر وهو مصدر الثقة والأمان الوحيد، فكان القرار عم محمد هو الحل.

اتجهت إلى السنترال وطلبت الرقم وعندما ردّ مجدي على التليفون لأول مرة تشعر باحتياج شديد، لأن ترتمي بين ذراعيه وتبكي، ولكنها لم تفهم معنى هذا الشعور، هل هو من وحدتها أو لاحتياجها لرجل يحتويها ويشعر بضعفها وتختفي خلفه ولا تعباً بشيء، يكون هو العون والسند والقلب الحنون الذي يملأ حياتها بالحب والأمان والراحة، ويشعرها بأنوثتها التي أصبحت لا تذكرها، ويشبع رغباتها، ويعوّض حرمانها الذي سببه لها خالد.

أخرجها من هذه المشاعر الجياشة التي تجتاحها صوته، وهو يقول مرة أخرى:

- آلو.

ردت بهدوء:

- أيوه، أيوه يا أستاذ مجدي.

لكي لا يشعر ببكائها.

لم ينتظر أن تكمل أنهار عليها بالأسئلة:

- طمني عليكي، إنتِ كويسه وندی بخير؟

لم تُجب، ولكن شعر ببكائها فعلاً، وهي تحاول جاهدة أن تكتم ما بداخلها، ولأول مرة يتجرأ ويطلب لقاءها، وهي أيضًا لم تستطيع أن ترفض، فهي لم تعد صلبة مثل المعتاد، إنها تحتاج إلى رجل أيًا ما كان، تريد أحدًا يحمل عنها العبء، تريد الاهتمام، ولو القليل من الاهتمام، تريد أن تشعر بالأمان الذي تفتقده، ولكنها تشعر به حينما تنظر خلسة إلى عيني مجدي، تريد أن تكون إنسانة، لا تريد أن تكون أنثى، إنها ليست خائنة، لكن تتمنى وجود أحد تشعر أنه يتحمل معها القليل.

ردّت بصوت يختنق من كثرة البكاء:

- يا ريت يا أستاذ مجدي.

- طيب هستناكي في المصنع.

- حاضر مع السلامة.

رن جرس التلفون في منزل أبي و داد قامت رسمية
بالتقاط السماعه بسرعة وقالت:

- السلام عليكم يا شيخ عامر.

ضحك بصوت عالٍ لدرجة أنها أبعدت السماعه عن
أذنها وقال:

- طبعا الشيخ عرف إني هكلّمه, وقالك طيب ياستي
ممکن تعرفيه أني على التلفون مستنيه.

- حاضر يا شيخ.

لحظات وتحدث أبو وداد قبل السلام:

- أنا زعلان من اللي إنت عملته معايا يا عامر وليا حق
عرب.

رد عامر:

- كنت عارف إن أحبابك مش هيخبّوا عليك, وكمان أنا
عارف إنك أدّها وأدود, وأنا مقدرش أستغنى عن
"شلهوم", وصدّقني كان هو هيحلّها بس أنا مرضتش
أتعدّاك إنت, وأحبابك وعشان مندخلش في مشاكل
كبيرة إحنا في غنى عنها.

- بس برضه مكانش صح انك متعرّفنيش حتى عشان
البت الصغيرة, وأمن نفسي أكثر من كده.. عامةً
الحمد لله ربنا عدّاها على خير المهم إنت مالك فيك
إيه؟ المكالمة دية ليها سبب وكبير؟!

- يا راجل أنا أقدر أستغنى يا شيخنا دا إنت أبو وداد
اللي يهاب ولا يتهاب.

- لأ ناقص كمان تقولي إني وحشتك يا عامر، إحنا عشرة عمر، خير في إيه؟

- يا سيدي في دفينه، ومحتاجك معايا تساعدني فيها.

- عامر هات من الآخر، وقول عايز إيه مش جديد عليك إنك تخرّج دفينه، وخدامك شداد، وانت ليك إسمك، وزى النار على العلم.. في جديد عشان كده إنت محتاجلي.. قول على طول من غير لف، ودران.

- فاهمني كده على طول.. أنا هفتحها المرة دي بالمندل.

- مندل إزاي؟ أغلب الدفاين بيكون خراسه شداد، وهتجيب منين حد يوافق أنه يكون ناظور، وانت عارف إن خطورته كبيرة.

- لأ متقلقش.. لقيت خلاص ندى يا شيخنا هي الناظور
و....

هنا قاطعه أبو وداد بانفعال شديد.

- إنت بتفكر إزاي؟ دي عيِّلة صغيرة, سنها ميسمحش, ودي بنت مستحملش الخضة دي, ممكن تتأذى فيها, وانت عارف ممكن يوصل الأذى لإيه.. يا أخي إتقي الله.

- معاذ الله هو أنا كافر؟ إنت بتعاملنى على إني معنديش قلب.. طبعا هحميها.. أنا فاهم طبعا إن سنها صغير وصعب عليها تتعامل مع حراس الدفاين لكن انت شفت عينيها يوم الجلسة, وهي سابتة محركتش جفن وقوة قلبها, وهي قاعده في مكانها كأن مفيش حاجة تخوف, والمحراب كان بيتهد علينا, ومخافتش من أشكالهم رغم ان الغضب والشر كان باين عليه يا أخي طفلة إيه؟ دي عندها قوة تهد جبال لو عرفنا نطوعها, كفايه إن خدام الصمدية معاها.

رد أبو وداد بانفعال:

- متقولش خدام.. دول أحباب الصمدية, وحاسب على كلامك يا عامر إنت عارف إني מבحبش أسلوب الاستهتار بتاعك ده يا أخي.

- اسمعني بس بالراحه كده ولا أنا ولا أنت قليلين في مجالنا وأحبابنا يا سيدي عشان متزعلش شداد, ومنها مصلحة تغيّر بها حياتك, والبنت كمان.. أوعدك إني هاخلى حياتها تختلف, وليها نصيب محترم فكر ورد عليا.

- مش عارف يا عامر الموضوع جديد عليا, والبنت مسؤولية, وأمها كمان ممكن متوافقش.. لأ يا سيدي خلىني بره الموضوع ده.

- يا سيدي لو على أمها تعزيمه, وهتكون تحت أمرك, ولو مش هاتقدر أعملها لك أنا, وأنت عارف أقدر أخليها تجيبهالي لحد عندي لكن مقدرش أتعداك.

- طيب سيبي شويه آخذ المشوره, وأرد عليك.

- تمام بس متغيبش عليا مع السلامة.

- عامر.. ألو.. ألو.

- أيوا أنا معاك على الخط إيه عايز حاجه؟!

- الدفينة ديب فين؟

- في أسوان عند ناس حبايبى أوي, وأمان.

- طيب ماشي مع السلامة دلوقتي, وأنا اللي هكلمك.

اتجهت نادية بحالتها المزرية ودموعها التي ما زالت تنهمر على وجهها, وعقلها الذي لم يهدأ, وعندما وصلت المصنع انتبهت أن الوقت قد تأخر وغادر الجميع إلا عم عادل عامل الأمن, فنظر إليها بريبة وقال متعاطفًا:

- مالك يا نادية يا بنتي فيكي إيه؟

- بنتي تعبانه أوي وجيت عشان أستاذ مجدي.

وهنا شردت للحظات, ودار في عقلها أنها إذا أخبرته أنها جاءت لأنها تحتاج مساندة معنوية, وبعض العطف, تريد رجلًا يقف بجانبها, لكي تشعر بالأمان والراحة لبعض الوقت هل سيفهم أن طاقتها انتهت, وتريد بعض لحظات فقط تشعر بها بالدعم لقلبها,

وعقلها نعم هي مجرد لحظات تحيا بها، لكنه سوف
يظن بها السوء، ولن ينتهي الوضع إلا بقليل وقال.

أخرجها من شرودها عم عادل، وهو يُرَبّت على كتفها:

- يا بنتي سكتي ليه؟!!

نظرت إلى وجهه الأسمر، وملامحه القوية وقالت:

- أصل أستاذ مجدي هيبعتني عند دكتور كبير يعرفه،
وكلمه عشان الكشف يبقى في تخفيض شويه.. إنت
عارف اللي فيها يا عم عادل.

- طيب يا بنتي ادخلي، وربنا يشفيها لك.. هو أستاذ
مجدي ابن حلال، وجدع.

بخطوات مُترددة وصلت إلى المكتب.. لم يتكلم نظر
إليها بعينيه التي تتفحصها بحنان واشتياق ولهفة،
ولكن احترامها وكرامتها تجدها داخل نظرتة كيف لا
تعلم.

قال بهدوء:

- ارتاحي على الكرسي.. في إيه؟ بهدوء فهميني عشان أعرف مالك.

نظرت مرة أخرى إلى عينيه، وخانتها قوتها التي اعتادها عليها وفي انهيار شديد من البكاء لم تستطع أن تنطق بكلمة.

أما هو حينما شاهدها بهذه الحالة، لم يفكر بأي شيء سوى في قلبه الذي كاد أن يخرج من داخله ليطوقها ويحميها من أي شيء أين ما كان وفجأة، وجدته جاثيًا على ركبتيه أمامها وبيده الحانية يضم يدها إلى يده ويرفعها إلى شفثيه ليقبلها، وهي في حالة من الذهول الشديد، ويخبرها:

- أنا معاك، وجنبك ومش هخلي حتى الهوا يمسك، إنت حاسه بمشاعري ليكي من زمان، لكن مقدر إنه مينفعش أوضح بسبب لإنك متجوزة لكن مش قادر أخبي مشاعري أكثر من كده، لكن أرجوكي إوعديني

متبعديش عني, وبرضه إنت في مكانك زي ما انت
مش هتتغير معاملتي ليكي سامحيني يا نادية لكلامي,
بس غصب عني إنت متعرفيش مكانتك في قلبي,
وبرضه إحترامك وقيمتك غاليين عليا.

- نادية نفسي أقولها مره, وتخرج ليكي وبعديها انسي
كلامي كله, أنا بحبك.. لأ مش بحبك بس, أنا ميت في
حبك وماليش حياه مع غيرك رغم إني عارف إنه
مستحيل.. لكن برضه بحبك, وانت كل حاجة حلوة في
حياتي.

ودابت شفتيه الملتهبة من المحبة على يديها مرة
أخرى بقبلتين.

نسيت نادية ما كانت فيه, ودقات قلبها المتسارعة
ونفسها الذي أصبح متقطعًا, وعيناها اللتان أصبحتا
متسعيتين حتى تشعر أنها ستخرج من مكانها ومع
حرارة شفتيه على يديها.

سحبت يدها، ولم تنظر إليه.. خرجت هاربة، وهي لا تشعر إلا براحة، ورعب.. إنها تعلم بمشاعره فعلاً، لكنها لم ترها من قبل ماذا تفعل الآن؟ لا تفهم، ولكن قرارها الوحيد هو: لن تذهب إلى المصنع مرة أخرى من أجله ومن أجلها، هي زوجة وأم وليست من مستواه لا العلمي ولا المادي، وهو به كل ما تتمناه أي بنت.. إنه مجدي الذي لا يوصف جماله وأخلاقه ورجولته، هذا يكفي.

دخلت المنزل واطمأنت على الأولاد، وشعرت أنها تحتاج إلى الاستحمام بماء مثلج لكي تهدأ مشاعرها وأفكارها معًا.

جلس أبو وداد يفكر، هل يجازف مع عامر وتكون مرة واحدة فقط؟ وهل ستكون ندى في أمان؟ ولكن غروره ردّد الكلمات بداخله ليس صعبًا عليّ أنا أبي وداد (اللي يتهاب ولا يهاب)، وكمان عامر مش قليل، والبنت هتستفاد.

سمعت طرقات على باب غرفتها فعرفت أنه أبوها
فقالت:

- أيوه يا شيخ الباب مفتوح.

دخل وقال:

- عايزك بكره تروحي لأم ندى.

لم يستطع أن يكمل حديثه قاطعته بعصبية:

- ليه تاني؟ مش كفاية اللي حصلها الجلسة اللي
فاتت.. كفايه يا بابا الله يخليك إنت عارف إنها كانت
في خطر، لكن ربنا ستر.

- طيب يعني مش عايزه تروحي؟!.. تمام أنا هاتصرف.

خرج، ولم ينظر لها، وهي تتمتم بكلام غير مسموع،
ولكنه يعلم أنها تعترض، وتنتقده فلم يعرها أي اهتمام.

دخل محرابه، وأحضر كتابًا ذا غلاف أسود كئيب
وقال:

- مكنتش متخيّل إني هاحتاجك لكن لكل شيء معاد.

ومرّت الأيام بثقلها لكنها تمر, وتحاول جاهدة أن تخطو بابنتها إلى بر الأمان, وتستعيد استقرار أسرتها الصغيرة التي تفتقد وجود زوجها, وتحاول أن تمحو من ذاكرتها نظرة مجدي إليها, ولمسة شفّتيه الدافئة على يديها, ولكن إذا تناسيت هل ستمنع قلبها من رعشته القوية التي هزت جميعها, من كلمة أحبك التي لم تسمعها حتى من زوجها, ولو لمرة فقط تذكّرت خالد كأنه مجرد حلم في حياتها فقط لتعرف الناس أنها متزوجة, لكن أين هو؟ وما العائد؟ إنها ما زالت تعمل, وهو ما زال غائبًا, ووضعها لم يختلف سوى في الجفاء بينهما.

بدأت ندى في التحسن, وانتهى العام الدراسي على خير.

وضعت وداد الغداء أمام أبيها فقال وهو ينظر لطبق
الملوخية الذي أمامه ويجذب رغيف الخبز ليقسمه
نصفين:

- مش هتروحي تجيبي ندى؟

قال الكلمات ولم يواجهها بنظراته.

نظرت له بحدة, وقالت بانفعال:

- إنت عايز إيه منها تاني؟ سيبها في حالها، حرام
عليك.

بيرود قال:

- لو مش هتجيبها هجبها أنا هتصرف.. للعلم بس
عشان أنا عارف إنك مرتبطة بيها.. ندى هتسافر معايا
الصعيد.

لم تتحرك من مكانها، وتاهت نظرة الغضب التي في
عينها بين القلق والحيرة وقالت باستياء:

- لا حوله ولا قوة إلا بالله.

وتركته وتاهت بين أفكارها وتأكدت أن لا شيء سيثني أباه عن ما يريد من ندى، وهي حسمت أمرها أنها لن تتركها لمصير مجهول، وهذا عهد أخذته على نفسها، لن يمس هذه الطفلة سوء ما دامت على قيد الحياة، دخلت وداد غرفتها وهي عاقدة العزم على أن تجد حلاً لهذه المعضلة، قامت إلى سجادة الصلاة، وبدأت المنجاة والصلاة، والتوسل إلى الله، وبدأ صوت هامس يتلو على مسامعها: "بسم الله الرحمن الرحيم" (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فبدأت تردّد الآية هي الأخرى، إلى أن غلبها النعاس.

خرجت ندى من الحمام، ودخلت الغرفة، وهي تنزع الفوطة من فوق شعرها المبتل، وتستعطف أمها بتوسل المعذب كعادتها عندما تبدأ نادية في تصفيف شعرها:

- والنبي يا ماما بلاش ديل حصان, أنا عايزه أسيب شعري كده، والنبي والنبي.

وبحنان الأم، ردّت نادية, وهي تجذبها من شعرها:

- بس يلاً بلاش دلع عايزه أخلّص, واشوف اللي ورايا، هاتي المشط.

وبعفوية الأطفال خرجت من ندى بعض الكلمات المبهمة, وقالت بوجهها العابت:

- اتفضلي يا ست ماما المشط أهوه.

قامت نادية بقرصها في كتفها وبابتسامة بسيطة قالت:

- إنتِ بتبرطمي بتقولي إيه؟

- مفيش..يووووه، اعلمي في شعري اللي انتِ عايزاه، مبسوة يا ست ماما؟

زادت ابتسامة نادية لأنها تعرف أن (اللامضة) جينات توارثتها ندى منها.

هرولت ندى مسرعة تفتح الباب, ولم تنتظر أن تعرف من الطارق كل ما كان يشغلها كيف تبتعد عن يد أمها, كانت نادية خلفها, وهي تمسك في يدها المشط, وعندما نظرت إلى من يقف على الباب وقع المشط من يدها وفي لحظة, عيناها امتلأتا بالدموع, واجتاحها شعور قوي بالانقباض, ولم تستطع أن تحدد هل خانتها عيناها أم أنها فقدت عقلها أم أنه أمامها فعلاً, وفي تردد استطاعت أن تجمع شتات نفسها, وتخرج الكلمات وتقول بذهول:

- عم الشيخ!

- السلام عليكم يا نادية، عامله إيه؟ وانتِ يا ندى و داد بتسأل عليكي.

وبدأ بالتسبيح على سبحة التي يضغط عليها بشدة, ويحرك نظرة بريية بين نادية وندى وكان شيئاً يمر

بينهما وهو يوجه بنظراته.

تغيّرت نظرة نادية فجأة من الرعب الى نظرة خضوع،
ولكن لا تزال الدموع تملأ عينيها.

أما عن ندى تشعر أنها كانت تائهة، ووجدت من
سيصلها بأمان إلى بيتها، وارتمت في حضنه، مرة
أخرى مثل كل مرة بالفعل صدق أنه أبو وداد ماذا فعل
لهم أصبحوا مثل مسلوبى الإرادة، ليس لهم خيار.

تكلم برزانتة المعهودة:

- يا نادية أنا هاخذ ندى معايا مشوار تلت أيام،
ومتقلقيش عليها.

لم تجب بل زاد اتساع عينيها، ولم تبعد نظرها عنه
ودموعها المتحجرة ترفض أن تتركها، وأخرج ورقة
مطوية من جيب جلابابه المنمق، وقال:

- هاتي كوباية مايه.

في حركة آليّة أحضرت الكوب, ووضعتة أمامه وبدون أن يهاب شيئًا وضع الورقة داخل الكوب, وطلب منهم الشرب منه, فقط شرب الجميع, وبعد لحظات انتبهت نادية لوجوده, كأنها تقوم بتمثيل مشهد على خشبة المسرح, وبدأ الآن مشهدها, وقالت:

- أهلاً أهلاً يا شيخنا, نورتنا, والبنات عاملين إيه؟ والله ليهم وحشة.

رد بابتسامة تملأ وجهه ليس لترحابها به (Absolutely) بل لشعوره بقوته ومهارته, وأنه هو من هو "أبو وداد اللي يتهاب ولا يهاب".

- الحمد لله بخير, المهم حضري ندى عشان السفر وهاجي أخذها كمان ساعتين.

وبدون أي أسئلة أو استفسار مع من وإلى أين أو كيف ستطمئن على أبنتها؟ وماذا يريد منها؟ أو حتى القرار الذي اتخذته بعد الليلة المرعبة أو حال ابنتها الذي لم يتحسن إلا في وجودها, ويعلم بها الله وهي وحدها,

إنها تشعر بابنتها، لكن ماذا حل بها إنه هو وعفاريته!
أومات برأسها لتؤكد له الخضوع والاستجابة.

توجّه إلى الباب وقال:

- متقلقيش هتكون في أمان.

كأنه شعر بما لا تستطيع أن تنطق به أو للحظة أضأت
لمبة الضمير، ورأف بحالها وتذكّر أنها أم وهذه الطفلة
التي يتلاعب بها ابنتها.

عندما وصل منزله وجد وداد تقف أمامه بثقة وثبات
وتملؤها القوة وبجانبها حقيبة سفر.. فنظر بتعجب,
وقال:

- أنا مبقتش فاهمك إنتِ هتيجي معانا ولا إيه؟

- أنا عارفه إن مفيش حاجة هتخليك تغيّر رأيك,
وترحم البنت دي فقرّرت إني هاجي عشانها، وكمان
أتاكد أنها هتكون بخير، وربنا يستر وتعدّي على خير.

فأعاد النظر إليها مرة أخرى بتمعن شديد وقال:

- إنَّ عملي إيه؟

أجابت بهدوء غريب لم يتوقعه:

- من توكل على الله فهو حسبه، ودي ثقتي بربي ولا نسيت يا شيخنا إن الثقة بالله هي الملاذ، والجن والإنس عبيده، وكله بأمره، النفع والضرر.

شعر للحظة أنه قليل الحجم أمام ابنته، ولكن لم تطل اللحظة إلا وتذكر من هو.

قالت في استنكار:

- هو ممكن أعرف إنَّ هتفح مندل هناك ليه؟ إيه لزمته السفر؟!!

حارت نظرتة وسكت قليلاً ثم أجابها:

- مش مندل عادي.. أنا، وعامر هنخرج دفيئة.

- دفينه؟ دي حاجه جديده؟!

- لأ أبدًا بس أنا مش بشتغل فيها بس عامر طلبها خدمه, وانا وافقت.

برضه مفهمتش يعني إيه دفينه يا بابا؟

- ياستي دي عبارة عن ذهب مدفون في مكان أو آثار وفي ناس بتقول كنز, وناس بتقول دفينه, وبيكون على أغلبها حُرَّاس من الجن, ومكانها مختفي بسبب إن الجن بيكونوا حاجبينها عن العيون وبالتعازيم بنقدر نطوِّع الجن, وناخد الكنز.

- بالبساطه دي إزاي, وندي لازمته إيه في الموضوع يا شيخ؟

- ندي هتكون ناظور زي ما بتكون معايا هنا بس الفرق هناك هي اللي هتوصلني للمكان بالظبط.

- طيب, وليه ندي ما كان ممكن يكون أي حد من عند عامر أو من معارفه.

- أنا هكون صريح معاكي.. عامر مش سوي, واللي لازم يكون ناظور أو دليل لا بد أن يكون شخص نيته طيبة سليمة مفيش في قلبه خبت, لأن الشخص الحسن النية يجد القبول في الأرض والسماء ويلين له قلوب العباد من أنس وجن, ويكون قلبه قوي, وندی ما شاء الله قلبها جامد إنتِ مشفتيش يوم الجلسة ماتهزّتش, ولا رمش لها جفن, ودي أهم الصفات اللي تساعد في خروج الدفينة, وعامر مخضرم وقوي لكن لو غلط غلطة واحدة في الجداول والتعازيم والطقوس ممكن يكلفه حياته عشان كده أنا معاه.

- طيب, وانت ليه بعيد عن عامر مدام هو مهم, وغالي عليك أوي كده؟!

- عارفه يا وداد في ناس بيقال عنهم "المغامرين بكل شيء وأي شيء" وعامر من الناس دي داخل كل حاجة بصدرة, ومعدوش حاجة يخاف عليها ولا زوجة ولا أولاد ولا أهل, خياله هو السبب في اللي هو فيه, فاكر إنه في يوم هيملك بلاد المستحيلات وتحولت الفكرة عنده لهدف ولا بيشغل عقله للتنازلات والمخاطر ولا

كم التضحيات والأضرار هو ده عامر الباحث عن الكنوز والدفائن.

عشان كده طريقه اختلف, وبعدها عن بعض أنا عندي اللي أخاف عليه هو بايع, لأنه معندوش حاجه يخاف عليها لكنه عشرة, وجزء من حياتي وصديقي الوحيد, حتى بشره. آه أنا بخاف عليه, وكل ما يحتاجلي هكون جنبه.

نظرت له وداد نظرة غريبة تشعر أنها مختلطة المشاعر بين من يتحدث عن العلاقات والمودة والعشرة ومن دمر حياتهم وترك انتقام "تيم" منه يدمر كل ما هو إنساني بهم وجعلهم كتلة من المشاعر المرتعبة, ودفعت أمها حياتها ثمنًا لأفعال والدها, هل يتذكر كل هذا صاحب هذه المشاعر الإنسانية؟

تنهدت بمرارة لأنها تذكرت أمها، وقالت:

- وانت مطمئن على ندى, ومتأكد إن ما فيش مشكله وهتكون في أمان؟

- عيب تتكلمي معايا كده إنتِ عارفه أبوكي كويس يا وداد.

- مقصدش أضايقك متزعلش مني كلامي ده من قلقي على البنت مش أكثر.. طيب إحنا هنمشي إمتى؟ في عربيه هتكون هنا كمان ساعتين هتوصلنا المحطة، وفي الطريق هنعدّي نجيب ندى، ويالاً قومي حضري الشنط.

- أنا حضرتهم من بدري..

- مش عارف فيكي حاجة غريبه مبتسمه، وبتاخدي وبتدّي معايا في الكلام، ومفيش أي اعتراض بخصوص ندى.. إنتِ عملتي إيه مخليكي مطمّنة؟

ابتسمت بخبث، ولم تجب واتجهت إلى غرفتها.

مرّ الوقت، وسمع الجميع صوت كلاكس السيارة خارج المنزل، وتحدث وهو يتحرك مسرعًا:

- يالاً يا وداد بسرعة الراجل مستني بره, ولسه هنعدّي على ندى.

- خلاص يا شيخنا أنا جاهزة.

نظر إلى رسمية, وقال بصوت مرتجف:

- خلّي بالك من نفسك, والست أم أحمد مش هتسيبك لحد ما نرجع وخليّ الفلوس دي معاكي, واجمدي شويه في غيبتنا بلاش التوهان اللي انت فيه, وابعدي عن المحراب, ولازمي آية الكرسي, والمعوذات عشان مفيش حاجه تضايقك, وأنا مش هنا.

وبنفس النظرة المبهمة أجابته, وهي تائهة في مكانها:

- حاضر حاضر يا شيخنا امشي خلاص.

نظر لها بحسرة, ورد بمرارة:

- امشي يا رسمية.

ركب السيارة, وجلست في الخلف وداد, وبعد مسافة قصيرة من منزله وصلوا إلى منزل ندى فأوقف السائق أمام منزل ندى، وقال:

- انزلي هاتي ندى بسرعة, وتعالى عشان ميعاد القطر.

- طيب, ونادية يا شيخنا أقولها إيه؟

رد بحزم:

- قلت لك انزلي هاتيها, وتعالى هي جاهزة.

بعد لحظات فتحت نادية الباب بعدما سمعت الطرقات، وهي متسعة العينين وتائهة، ونظرت إليها وداد فتفهمت ما بها أنها تعاويد أبيها، نظرت لها بأسى لأنها تعلم أنها لا تستطيع أن تغيّر شيئًا، لكن على الأقل الله يعلم أنها تحاول جاهدة أن تحمي هذه الطفلة، أخرجها من شرودها حزن ندى التي لم تنتظر أن تنتبه لها وداد بل ضمت ما استطاعت أن تصل إليه منها، انحنى وداد ووضعت قبله على خدها وقالت:

- وحشتك يا قمراية؟!

- آه والله كثير أوي يا طنط وداد الحمد لله انك جيتي
عشان أنا شفتك امبارح في الحلم.

- طيب هتحكي لي واحنا مع بعض في القطر ماشي؟!

- ما أنا عارفه إن إحنا هنسافر بالقطر.

نظرت لها وداد بتعجب لما تقوله ندى هذا يدل على
شيء غير مفهوم حدث لكن ما هو لا تعلم!

ودّعت ندى أمّها وركبت ندى بجانب وداد ووصلوا
المحطة واتجهوا إلى قطار أسوان حملها أبو وداد حتى
ركبوا القطار! نظرت وداد إلى أبيها وهو يحمل ندى
وردّدت بداخلها " هذه الطفلة تأخذ القلب والعقل".

انطلق القطار وهنا ضمها أبو وداد وقال بحنان غير
مصطنع:

- أي حاجة عايزاها قولي لي على طول، ماشي؟

ابتسمت ندى بهدوء وقالت:

- شكرًا، يا رب يخليك يا عمو.

وارتمت في حضن وداد وقالت:

- هيجى دلوقتى.

نظرت لها وداد بتمعن وقالت:

- هو مين يا ندى اللي هيجى.

- وطي صوتك عشان عمو ما يسمعش.

- استنى.. هيجى، وهتشوفيه.. أمور بس لونه إسود.

أحسّت وداد بأن البنت تتخيل أشياء أو أنها شاهدت مسلسل تلفزيوني وتتذكر أحداثه.

وبعد نصف ساعة همست ندى في أذنها:

- هو اللي جاي هناك.. اسمه عمو زين.

نظرت وداد إلى الجانب الذي أشارت إليه ندى، وإذا
 برجل ممشوق الجسد، أسمر الوجه، عيناه ضيقتان،
 تشعر أنهما نقطتان في وجهه، ولكن ملامحه دقيقة
 وجميلة، نعم هذا ما حدثت وداد به نفسها نعم، وما
 زلت وداد تسأل وتجيب على نفسها، وهو أيضًا ما زال
 يتقدم نحوها إلى أن تحجرت عينها، واتسع فمها من
 التعجب، ولكن أنقذتها ندى بعد أن وضعت يدها على
 فمها لكي تغلقه بيدها الصغيرة.

تقدّم الرجل إلى أبي وداد وقال:

السلام عليكم يا شيخنا.

رد أبو وداد بتعالٍ وقال:

- وعليك السلام، خير؟ نعم؟ في حاجة؟

- أبدًا لكن متهيألي حضرتك صاحب المحفظه دي.

وأخرجها من جيبه، وهو يتحدث وأعطاه إياها، وقبل
 أن يكمل كلامه وضع أبو وداد يده على جيب جلاباه

ولم يشعر بمحفظته في مكانها، فأعاد النظر ليد الرجل وقال:

- تقريبًا هي ممكن أتأكد.

رد الرجل بابتسامة:

- اتفضل رغم أن الصورة اللي في البطاقة شبه حضرتك.

أمسك أبو وداد المحفظة، وتفحصها وجدها هي وبنظرة خاطفة تأكد من وجود المال، وقال:

- شكرًا يا...

رد الرجل:

- زين.. حضرتك.

اتسعت اكثر عين وداد ووجهت نظرها لندی وهي لا تعرف ما تستطيع أن تترجم به ما حدث.

رد أبو وداد:

- من لهجتك إنت صعيدي صح؟

- نعم يا عم الشيخ، بس شغلي في القاهرة ومروّح
أجضي الأجازة في البلد.

- طيب ما تيجي اقعد معايا توّسني وتحكي لي عن
أسوان شويه لو مش معاك حد.

- ممكن اقعد معاك شويه, وارجع تاني عشان معايا
إثنين أصحابي مروّحين سوا, وميصحّش أسيبهم
لو حدهم كثير.

جلس زين مع أبي وداد, ودار بينهما حوار بسيط عن
العمل وأخبار أسوان وأحوال البلد وناسها, وفي أثناء
الحديث انتبهت وداد إلى نظرة زين لها, إنه يتفحصها
من أعلى إلى أسفل, ولكن نظرة غريبة لم تفهمها
بالتأكيد لجهلها بالتعامل مع البشر, إنها لا تعرف أغلب
الأشياء لا يعني كبر سنها أنها مخضّمة بالحياة,

بالعكس تشعر إنها طفلة, ومن الممكن أن تشعر أن ندى تعرف تقيم بعض الأمور أكثر منها.

أفاقت من شرودها الواضح على فمها، فهي منذ أن ركبت القطار ورأت زين وهي لا تستطيع أن تسيطر على فمها مرة أخرى، وضعت ندى يدها على فم وداد مرة أخرى، وابتسمت بخبت نعم لم يعد هنالك براءة أطفال قالت:

- مش أنا قلتك هتقابليه في القطر.

وجهت وداد نظرها إليها, وكأنها تذكرت وقالت:

- قوليلي بأه عرفتي كل ده إزاي يا شقية؟

- حلمت بكل ده بس, واقولك كمان هو بيحبك.

ارتبكت وداد, وكان قلبها يتخبّط بداخلها، فهي نسيت هذه الأحلام الحب والزواج والأمومة، والآن تأتي هذه الطفلة المجنونة تفتح جروحًا قد أغلقت بما فيها.

قالت بصرامة:

- عيب يا ندى الكلام ده، ومنتكلميش كده ثاني علشان مزعلش منك.

نظرت لها ندى بثقة وقالت:

- أنا مش بقول حاجة يا طنط ده أنا حلمت كده، ومنتزعليش مني.

ضمتها وداد بحنان وقالت بهمس:

- مفيش حاجه خلاص يا ندى.

ردت ندى بنفس نبرة صوت وداد وقالت:

- بيحبك.

وضحكت بشدة.

نظر أبو وداد وزين لندی وأعادت النظر إليهما وداد لكي تثبت لهما أنها مجرد طفلة يصعب السيطرة عليها.

استأذن زين ليتوجه إلى أصدقائه وقال الشيخ:

- شكرًا مرة تانيه على أمانتك يا بني

- يا شيخنا إنت زي والدي ودي تربيته, والحمد لله
على نعمة الأخلاق والأمانة.

وصل القطار إلى أسوان وبعد خروجهم من المحطة
كان عامر بانتظارهم، وبالطبع الترحاب الشديد، قال
عامر:

- كنت عارف إنني مش هاهون عليك إنت اللي ليّا.

رد أبو وداد:

- عيب يا عامر إنت أخويا.

ركب الجميع سيارة بيجو (504) وظل الحديث
الأخوي والثناء بين الاثنين، ولكن الصغيرة لم تنفك
تنظر إلى وداد من حين لآخر لترى شرودها وتبتسم.

وفي الطريق لاحظت ندى وجود أطفال كثيرة تنهافت على بعض الألعاب منها عشقها (المراجيح) وبعض الألعاب الأخرى في هذه الساحة، فأشارت إلى وداد وقالت:

- ممكن نيجى هنا.

نظرت وداد للمكان وقالت:

- بس نوصل بس واللي انت عايزاه هنعمله سوا ماشي.

ركنت السيارة أمام منزل كبير ومن النظر إليه تشعر أنه مميز، هو أكبر منزل مرّت عليه السيارة.

كان يقف أمام المنزل ثلاثة رجال في منتصف العمر، وكانوا يحيطون برجل كبير في أواخر الستين تقريبًا، ويشبههم أو هم يشبهونه، لكن يتضح عليهم الهيبة. قال عامر وهم يترجلون من السيارة:

- الحاج طه واقف مستنينا بنفسه.

رد أبو وداد:

- مين الحاج ده يا عامر؟

رد في اختصار شديد:

- ده أغنى راجل في مركز ساقلته, وبالتحديد تقريبًا الجلاوية نصها بتاعته, ودول ولاده, وهو اللي عنده الدفينة.

رد في تجهم:

- مش عارف ليه أنا مش مرتاح يا عامر.

- لأ هتقلقني ليه دا انت أبو وداد "اللي يتهاب ولا يهاب" اجمد كده وبعدين نتكلم متضيّعش منا المصلحة.

تقدم إليهم رجلان من أبناء الحاج طه وقاما بإخراج الحقائب وإدخالها إلى المنزل، وتوجه عامر مسرعًا إلى الحاج طه، وأشار إلى أبو وداد:

- شيخنا جه عشان خطرڪ، والله يا حاج أصل الشيخ أبو وداد ما بيروحش لحد لكن لما عرف غلاوتك عندي وافق.

أشار الحج طه لابنه فأوماً الابن لأم رضا لكي تُدخل الحريم إلى المنزل، وبالفعل توجهت بهم إلى غرفة كبيرة يطلق عليها المضيقة، وفي طريقهما سألتها وداد:

- والنبي يا.....

أجابت أم رضا:

- أيوه يا ستي.

- ستي إيه لا إله إلا الله أنا زى بنتك قوليلي يا وداد.

- يسعد أيامك يا وداد يا بنتي، ويرفع قدرك وتخاويها.

الضربة القاضية لقد قتلتها الكلمة حارت الدموع في عينيها، ولم تستطع أن تخرج الكلمات من حلقها، فشعرت أم رضا بشيء خطأ صدر منها وقالت:

- متزعليش مني حقك عليا يا بنتي لو كنت زعلتك.

جال بفكرها: لماذا كل المشاعر التي حاولت أن تنساها
يصر الجميع اليوم أن يذكرها بها تنهدت بألم
واستجمعت شجاعته وغيّرت الموضوع:

- هي المراجيح اللي جنب البيت دي ممكن آخذ ندى
تلعب هناك شويه؟

- آه دا في المغارب بتكون مليانه عيال, وكمان في ليلة
حضره, وذكر النهاردة, وال دراويش بيكون حاجة جميلة
خالص وما قولقيش بأه على المُنشدين لأ بجد حاجه
جميله خالص صدقيني والله.

ردت بابتسامة جميلة من القلب:

- مصدّقاكي من غير حلفان، ويمكن آخذ ندى, ونروح
تلعب هناك شويه شكراً يا أم رضا كتر خيرك.

وفي دقائق كان كل ما لذ وطاب أمام الشيخ طه
وضيفيه.

كان عامر يتصرف بأريحية شديدة، وبدأ الحاج طه بالكلام موجهاً إياه إلى أبي وداد:

- أكيد عامر كلّمك يا شيخنا عن الدفينة بتاعتنا.

أوماً أبو وداد رأسه أيجابًا، ولكنه كان ينتظر ما سوف يخرج من جعبة الحاج طه لأنه يعلم لا بل على يقين أن عامرًا لن يدلي بدلوه، فأكمل الحاج طه:

- إحنا بنحاول نخرّجها من سنين، لكن حراسها اللي عليها شُداد, ومؤذيين.

هنا وجّه أبو وداد نظرة غاضبة إلى عامر فارتبك الأخير، وأعاد أبو وداد نظرة إلى الحاج طه, وقال:

- طبعاً يا شيخ عامر ما بيخبيش عليّا حاجة, ولازم يصارحني عشان دي أرواح ناس, والمهم البنت الصغيرة لازم تكون حاميتها كويس.

وبنفس النظره, وجّه كلامه لعامر في لهجة صارمة:

- صح يا عامر؟

- طبقًا يا شيخنا.

قالها عامر, وهو واضع وجهه بأكمله في الطبق حتى لا تتلاقى أعينهم.

أنهى الجميع الطعام، فطلب الحاج طه الشاي لكن أبا وداد اعتذر وقال:

- معلىش كنت محتاج أرتاح شويه قبل ما نبتدي النهارده.

- النهارده دا انت ما شاء الله عليك عايز تخلّص بسرعه دي الشيوخ عذبّتي وكانوا بيتعملوا على إني بحر فلوس والجعهه كانت حاليالهم الله يبارك لك يا شيخ.

تهلّلت أسارير عامر وقال في ذهول وفخر:

- يا حاج أنا مش أي حد, والشيخ أبو وداد مش أي حد إحنا مدرسة واحده.

- يا صفوت.

- أيوه يا حاج طه.

- خد الضيف وخاليه يرتاح في المضيقة.

رد أبو وداد:

- عشت يا حاج يلا معايا يا عامر عشان نشوف هنعمل إيه.

وصل صوت المنشد في حلقة الذكر إلى مسمع وداد فقامت ونظرت من شبك المضيقة لم تستطيع الرؤية، لأن المكان ليس ملتصق بالمنزل، ولكن الصوت قريب فأيقظت ندى التي احمرَّ وجهها من النوم، وبالفعل تبدو مجهدا، فقالت:

- ها تحبى نروح المراجيح، ولا تكملني نوم؟ زي ما تحبى.

فركت عينيها بيديها الصغيرتين, وقالت بصوت لم تفهم منه وداد سوى طيب.

استأذنت وداد والدها بأنها ستأخذ ندى وتتمشى قليلاً بجانب المنزل حتى تشعر ندى بالألفة للمكان ولا تشعر بالرهبة، وافق وقال:

- ما تتأخروش بره.

- حاضر يا بابا.

أوصلتها أم رضا إلى باب المنزل، انتبه لهم صفوت ابن الحاج طه، توجه مسرعاً إلى أم رضا وقال:

- رايحين فين يا أم رضا؟.. دجيعة وهاجي معكم.

نادى على الشيخ:

- يا أم رضا عشان لو محتاج حاجه هو كمان.

ردت وداد على استحياء:

- شكرًا أنا استأذنت والدي هنتمشى شويه جنب البيت مش هنتأخر.

- ميصحش تتهملوا وحديكم.

جاءه صوت ابو وداد وهو شارذ الذهن:

- متقلقش أنا عارف مش هيبيعدوا عن البيت.

كانت عينيه معهم, ولكن عقله مع عامر هل سيلتزم بكلامه ولن يطلب تدخّل الملوك إلا بالاتفاق معه، وأن يلتزم معه في التعامل مع الجان المسلم فقط كما اتفقا لكن رسالة العم عبد لله صاحب القرآن توحى بشيء ما سيحدث.

- طيب ماشى لو احتجتني أنا في الحضرة سلام عليكم.

خرجت وداد وندى ممسكة بيدها وهي تنظر إلى لعبة الأرجوحة وبها ولد يتأرجح بها، فقالت:

- تعرفي أنا اعرف أعمل زيه.

فردت وداد, وهي مبتسمة:

- ده انتِ شقيه بأى, وانا معرفش, تحبى تتمرجحي؟

- يا ريت.

- طيب يالآ.

ركبت ندى الأرجوحة والسعادة تملؤها ومن حين لآخر تشير بيدها إلى وداد، سمعت وداد كلمات تذكر الله وصفاته العليا, ووصلات المدح في الحبيب المصطفى وشعرت بقشعريرة تسري في جسدها من كلمات المديح التي يرتقي بها هذا الصوت الملائكي، جذب الصوت وداد إليه واتجهت نحوه هائمة حتى لاحظت مجموعة من الرجال تقوم بحركة متناغمة بجسدهما من أعلى الجسد إلى الجذع مع ذكر الله وهم في حالة روحانية تشعرك أنهما منفصلان عن العالم، ومشغولان بمن هم معه، إنهما في حضرة لترويح القلوب والأجساد بذكر الله.

أفاقت وداد من الحالة الروحية التي أخذتها إلى عالم
التجلي وذكر الله لا إله إلا هو وحب الحبيب محمد
عليه أفضل الصلاة والسلام.

نظرته القوية التي اخترقت كيائها وجعلت قلبها يكاد
أن يخرج من مكانه من وقع الصدمة أو المفاجأة، نعم
تمنت ولم تخبر أحدًا أن ترى عينيه الصغيرة إنه زين،
حاولت أن تداري ارتباكها بأن تتمسك بيد ندى، ولكن
ندى.. تذكّرت الآن.. أين ندى شهقت بقوة، وصرخت:

- يا نهار اسود.

أشاحت بوجهها عنه وهو يقترب منها، وقالت:

- ندى.

وهرولت مسرعة في اتجاه المراجيح، لحق بها زين
ومسك معصمها بقوة وقال:

- استني في إيه فهميني.

نظرت إلى يده وعيناها غارقتان بالدموع وقالت
بمرارة:

- ندى يا زين تاهت.

وقف أمامها بنظرة ثقة وقال:

- متقلقيش أنا معاكي هوصلك للبيت بندى إن شاء
المولى.

بدأ يتحرك وهي بجانبه ممسك يدها كالأطفال لا
تعرف تعيش داخل إحساسها الدفين أم الشعور بالفقد
للطفلة التي أحيتها بعد كل هذه المعاناة التي قتلتها.

بدأ زين في سؤال أصحاب الدكاكين, ويتجول بين
الألعاب ربما يجدوها بين الأطفال، ووداد بجانبه
منهارة لفكرة أنها أضاعت أجمل ما ظهر في حياتها ولم
تفكر ووداد أن تنظر خلفها، كانت ندى هي من تركت
وداد لكي تتوه مع زين، ولم تكن هي التائهة لا تتخيل
أنها عقلية طفلة لا أنها تعلم ما تفعل، ولكن هذا جديد.

وقف زين يهتديء من روعها وبدون مقدمات قالت:

- ندى أنا معاكي ومش هسيبك بس أنا سيبتك.

ووجهت نظرها إلى زين, وأعدت النظرة لها مرة أخرى، شعرت وداد أن ندى لم تكن هي المتحدثة، ولم يطول النظر بينها وبين ندى حتى أمسكت ندى بيد زين ووداد وقالت: أنا عايضة أشرب سبورت كولا وأكل غزل البنات.

دار الحديث بين وداد وزين وبعد وقت ليس بقصير أوصلهم بالقرب من منزل الحاج طه وتركهم، ولكن أخذ معه جزءًا من وداد.

دخلت المضيفة وهي تشعر أنها في حلم ودخل أبوها وقال:

- خلّي ندى ترتاح عشان هتنزل الأرض على الساعة واحده.

- أنا هاجي مش هسيبها لوحدها.

- طيب أحسن عشان تطمّن أكثر.. ارتاحي انتِ كمان
ياللا.

سمعت نادية طرقات الباب, وقامت متكاسلة محدثة
نفسها:

- الساعة تسعه مين هيجي دلوقتي؟

فتحت الباب وجدته أمامها، ولكن ليس هو بل شخص
آخر حتى لم تجد لهفة أو سعادة لرؤيته أو رجوعه،
قالت بفتور:

- خالد.

نظر لها بدهشة شديدة, وقال:

- ليه كده حتى مافيش حمدلله على السلامة؟

- لأ طبعا حمد الله على السلامة، نورت بيتك.

حاول أن يضمها، لكنها كانت تشبه اللوح الخشب المتسمر في مكانه.

- طيب طالما بعد الغيبة تقابليني زي الزفت يبأى ناويه على خناقة.. أجليها للصبح عشان عايز أشوف ولادي، وأناام.

لم تكن متعمدة هذا البرود في تعاملها معه، لكن البُعد، ومعاملته الجافة قتلت مشاعر المودة في قلبها لأنها لا تعرف الحب، تعرف فقط أنه زوجها أبو أولادها.

- طيب ساعدني يا خالد في الشنط دي ننقلها من هنا، وبعديها ادخل اعمل اللي إنت عايزه.

ساعدتها في نقل الحقائق، ولكن كان ينظر إليها نظرة الباحث، نعم شعر انها اختلفت، أصبحت قوية، لكن من أين أتت بهذه القوة؟ لم يعثر على إجابة.

انتهى من وضع الحقائق وهي دخلت إلى المطبخ لأنها توقعت أنه من الممكن يكون جائعًا، دخل الغرفة وجد ابنه نائمًا، حضنه بشدة، ولم يحاول إيقاظه، ولكن

بحث بنظره داخل الغرفة عن ندى فلم يجدها، فتوجه إليها وقال:

- هي ندى فين يا نادية؟ وبدون أي تغيير في ملامح وجهها، وبنفس برود المقابلة أجابته:

- عند عواطف زميلتي في المصنع أصلهم راحوا البلد، وإخواتها الصغيرين من سن ندى، فقلت تغيير جو لإن أنت عارف سفرك تعب نفسيتها جدًا كام يوم، وهاتي جي.

- طيب مش تقولي؟!

- يعني أروح السنترال، واعمل مكالمه دولي عشان أقولك، وانت أصلًا مقصر في الفلوس؟ هو مرتبي هيكفي إيه، ولا إيه؟!

تبدلت ملامحه، وتراجع مستوى الرجولة العالي الذي دخل عليها به من السفر لأنه يعلم أنه نسي التزاماته تجاههم، فأغلق فمه على ما فيه.

طلب أبو وداد من صفوت ألا يُدخل عليه أحد لأنه يريد أن يكون مع الله حتى يطمئن قلبه.

فتح أبو وداد الحقيبة, وأخرج منها كتابه المميز, وقبل أن يفتحه قام باستدعاء "تيم", ولكن طال الوقت ولم يحضر فأقسم عليه, وقام بالتهديد والتوعد, فظهر تيم وبالنفور الواضح في معاملتهم معًا قال أبو وداد:

- لمَ لمَ تحضر؟

- لأنني كنت آتي لك برسالة من شخص ما.

تعجب أبو وداد وقال:

- رسالة ومن شخص؟! تكلم يا تيم، ليس هناك وقت لنضيعه.

- إنها من العم عبد الله صاحب القرآن.

- اشتقت إليه لكنه غاضب مني, ولا يريد أن يحدثني برغم أنه وقف بجانبني كثيرا, لكنه يعترض على بعض

أفعالي، ماذا أراد؟ أخبرني يا تيم، أقسمت عليك بربي وربيك.

- إنه ينهاك عمّا أنت مقدم عليه، وهذه هي الرسالة وهو لا ينتظر إجابة.

- أعلم أنها تجربة قوية وفيها مخاطرة، لكن لا بد منها.

- نعم، تريد المال، ولا تفكر بما قد يحدث لهذه الطفلة، لم أجد منك مشاعر في أي وقت حتى تجاه أحبابك، لم نجد منكم أيها البشر إلا من رحم ربي غير الطمع، والأناية والبغضاء، والأذى لبعضكم لبعض، فلم أنتظر منك يومًا خيرًا، ولولا أنني مُجبر لما عدت ورأيت وجهك البغيض أمامي مرة أخرى.

- أعرف كم كرهك لي، لكنني مضطر، أما الآن فأخبرني ماذا ترى واصلدقني القول ولا تكذب من أجل الطفلة، ليس من أجلي.

- لا تكمل، ما نويت من أجل ربي وربيك أصدقك القول.

لم يشعر أبو وداد بالراحة بعد رسالة العم عبد الله صاحب القرآن, وكلام تيم هو دائماً لا يثق به, لكن شعر بقلق من كلامه أو بالأصح صدق حديثه, ولكن هي مخاطرة وهو يعلم, ولا بد أن يجتازها, ولكن الصراع الداخلي كاد يقتله الثقة والغرور والخوف من المجهول, ولكن القرار النهائي كان يتردد داخل عقلة بقوة أنا أبو وداد الل يتهاب ولا يهاب.

توضاً وقرأ بعض التعاويذ منها للحماية, والبعض الآخر للاستعانة, وقام بارتداء جلباب أخضر, وقام بخلع جميع الخواتم من يده, وارتدى خاتماً غريب اللون, تشعر أنه يشع بالون الأخضر لكن عندما تقترب منه تجده خاتماً من الفضة, ولا يوجد به أي تميز, وكان يوجد حقيبة من القماش أخذها وتوجه إلى وداد, وقام بالطرق على بابها ووضع الحقيبة ولم ينتظرها وقال:

- ألسي ندى هذه الثياب وأحضري الحقيبة معك, إني في انتظاركما بالأسفل.

انتبهت وداد لطريقة حديث ولدها صوته أصبح رخيم
ويتحدث بالفصحى لم تفكر كثيرًا انتهت هي وندى
وتقابلوا جميعًا، ولم يحضر عامر. ولكن قبل أن تشرد
بهم الأفكار قال صفوت ابن الحاج طه:

- الشيخ عامر مستنينا في الأرض.

لم يُعلق أحد، واتجهوا إلى السيارة، وفي الطريق كانت
ندى تنظر لوداد نظرة وداع وعيناها ممتلئتان بالدموع،
فقالت وداد:

- مالك يا ندى فيكي حاجه يا حبيتي؟

تحدثت لها بصوت خافت:

- أنا خايفه.

أنا معاكي مفيش حاجة هتقدر تأذيكي طول ما أنا
جنبك. مش كلامي بيكون صح أنا سيبتك لوحدك قبل
كده؟!

لم تجيب, وأخرجت وجهها من نافذة السيارة لتنظر إلى الظلام الذي يحيط بالأشجار وتوقفت السيارة بالقرب من قطعة أرض شاسعة يحيطها مجموعة كبيرة من الأشجار ويضيء أنوارًا خافتة لكشافات صغيرة.

ترجّل الجميع من السيارة, وعندما اقتربوا من مصدر الضوء كان عامر يقف ولكن به شيء مختلف, تشعر أن عينيه اتسعتا أكثر, والسواد المتلفح به أعطاه منظرًا مُقبضًا للنفس, ولم يتحدث أو حتى يبتسم, بل كان مع ذاته, فقط وظهر شخص قصير القامة وقال:

- إن شيخي عامر لن يتحدث إلا بعدما يفتح الشيخ أبو وداد مندله وبعدها سوف يُكمل.

حينما ظهر هذا القصير فجأة ارتبكت وداد, وضمت ندى واستعاذت بالله بصوت عالٍ فشعر صفوت أنها ارتعبت فحاول أن يُخفّف من شعورهما بالرهبة لأنه بداخله يشعر بتعاطف تجاههما, وبالأخص تجاه ندى

التي كان كل من يراها يجتاحه شعور طيب، فهي في
عمر ابنه، فرد قائلاً:

- ايه يا بوى انتم اتفجعتم، ولا ايه ده سيد دراع عامر
اليمين، لكن بصراحة عمرنا ما شفنا الشمال هه هه هه.

نظرت وداد بخجل إليه:

- معلىش اتفاجئت.

ووجهت نظره إلى والدها لأنه بدأ في إشعال بخور
قوي رائحته طيبة، هي تعرف هذه الرائحة كان
يستعملها والدها لأعمال الخير، لأول لحظة تشعر
بالراحة لأنها تيقنت أن أباه لن يضع ندى في خطر،
بدأ في رسم دائرة كبيرة نعم كبيرة جداً، وبدون أي
مقدمات تحرّكت ندى إلى داخل الدائرة، وما زال أبو
وداد يشعل الشموع، ويرسم طلاس، ويردد كلمات
غريبة لم تفهم وداد منها شيئاً، ولكن لحظات وبدأت
تشعر أن الجو يزداد سخونة من حولها ورياح قوية
تلفحها، ولكنها تأكدت أنها ليست وحدها من تشعر

بهذه الحرارة، بعد أن دارت بنظرها تجاه الجميع فإذا بهم يتصببون عرقًا وأضواء الشموع كادت أن تنطفئ من شدة اندفاع الهواء، بدأ الخوف يسيطر عليها والعرق بلل ملابسها بدأت ترتعد وحاولت جاهدة أن تتحكم في مشاعر الخوف التي تجتاحها لكنها فشلت، بل شعرت أن جسدها امتنع عن الانصياع إلى عقلها وتحجرت الدموع في عينيها إلى أن استحوذت عليها فكرة العجز وأنها لن تستطيع أن تتحرك مرة أخرى، إنها تشعر بالشلل التام، فلن تستطيع أن تساعد ندى ولا حتى نفسها، هنا جن جنونها، فبرغم الخوف الذي يتحكم بجسدها وعقلها فقد قاومت وبشدة، وبدأت في تحريك لسانها بذكر الله بصعوبة إلى أن استطاعت أن تخرج من حقيبتها المسبحة وأكملت ذكرها، نعم إنها كانت مستعدة ولكن أن تفكر في الموقف شيء وأن تعيشه شيء آخر.

بعد أن انتهى أبو وداد من استعداداته أحضر قلة ماء من الفخار مطلية بالون الأخضر وقام بالكتابة عليها ووضع أصبعه الإبهام في منتصف جبهة ندى وقال:

- أقسمت عليكم أيتها الأرواح الروحانية صاحبة
الذوات النورانية المشعشة المضيئة بالمن الرحمانية
والنوامس الربانية وبحق (أهطيوه - بهطيوه - جهطيوه
- دهطيوه) انزلوا إليّ، واكشفوا الحجاب لهذا الناظر
إليكم واكشفوا له كشافاً صحيحاً، توكلوا بقضاء
حاجتي واجابة دعوتي بحق أسماء الله تعالى إله
ودود - على - حكيم (الوفا الوفا - العجل العجل) (إن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا
مُخَضَّرُونَ).

بارك الله فيكم وعليكم ولا حوله ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

ازدادت حرارة الجو سخونة في أثناء قسم أبي وداد،
ولكن قلة الماء التي تحملها ندى بدأت تتمايل في
اتجاه اليمين وتعود لوضعها مرة أخرى، وفي تلك
اللحظة دخل فجأة عامر الدائرة مع أبي وداد وندى
فأشار، أبو داود إليه لكي يخرج، ولكنه نظر إلى ندى

بشدة, وحدقتا عينيه تحولتا إلى اللون الأسود, وبدأ يدور حولها وهو يتلو قسماً بصوت جهورى:

- أقسم عليك يا أبا يعقوب الأحمر - أقسم عليك يا أبا يعقوب الأحمر بالاسم المكتوب على باب جهنم وبالنار الحمر الذي ترتعد من ذكرها أن تحضر أنت وجيوشك بقوتكم لتسمع لعزيمتي وتخاطبني على وفق مرادي وأمنع أذيتك عني وضررك بحق (برسم - سام - تراش) ومن لا يجيب دعائي فلينتظر عذابي.

شعر أبو وداد بنفسه، فقد رحل من كان يحميه، وعاد صوته لطبيعته, ولكنه خائف نعم هو خائف وبدأت دوامات من الدخان الأحمر تحيط بثلاثتهم، وظهرت حفر غريبة داخل الدائرة يخرج منها نافورة نمل أحمر اللون يشبه لون الدماء، وبحجم كف اليد، وبدأ يتقدم تجاههم وتزداد دوامة الدخان والحجارة تُلقى عليهم من كل اتجاه ارتعب صفوت والرجال الذين معه وبدؤوا في التراجع، إنها أول مرة يشاهدون هذه التحذيرات الغاضبة من قبل حراس الدفينة لم يحرك لوداد ساكن، وكادت تبلل نفسها من الرعب، فهي لم

تكن شاهدة في هذه المواقف من قبل، حاول أبو وداد جاهداً أن يحتوي الموقف ولكنه لم يستطع التعلق بأمل أن تيم من الممكن أن يساعده برغم مشاعره تجاهه من أجل ندى، ولكن لم يسمع استدعاءه تيم وبدأت تظهر أفاعٍ شديد السواد ضخمة تقترب منهم والحجارة تزيد في كميتها، وأحجامها أصبحت أكبر، ولقد أصابت رأسه وقدمه، وعامر تشعر كأن بينه وبين الحجارة حاجز، ولم يدتعب ظل ثابتاً ويكمل ترديد قسم أبي يعقوب الأحمر، وندى تجمّع حولها النمل وهي الأخرى أفاقت من غيبوتتها، فبدأت بالصراخ، وأرادت أن تهرب، وإذا بثعبان كوبرا شديد السواد يلتف ويتأهب لينقض عليها، وظهر سيد ذراع عامر اليمين فجأة، ووضع خنجرًا صغيرًا في يده، وفي لحظة التفت عامر إلى ندى وقام بطعنها بالخنجر برغم كثرة الدماء التي تخرج من رأس أبي وداد، لكنه فهم أن عامرًا أراد أن يضحي بندى بدلًا من أن يضحي بحيوان كما اتفقا، لقد خان عامر كل الأعراف فألقى بنفسه على يد عامر، لكنه كان قد قطع شريان يدها، في ذات الوقت ألقى وداد نفسها داخل دائرة الرعب

وصرخت في رعب وهي تجذب ندى إليها: اللهم رحمتك - اللهم رحمتك أرجو - اللهم رحمتك أرجو - اللهم هب لي منك عونًا، ودفنت رأس ندى في صدرها وأمسكت بقوة بمعصمها المصاب، وأشارت بأصبعها وبكل ما استطاعت من قوة بدأ تردد: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)، وقامت بعمل حازم وهي بأصبعها بينها، وبينهم وتحاملت على نفسها وحملتها وهربت ولم تهتم لأبيها ولم تستطع أن تفكر إلا بهذه الطفلة التي أصبح موتها محتمًا وروحها التي على وشك الخروج وظلت تتعسر وهي تحملها ولا تعرف إلى أين تتجه لقد هرب صفوت، والجميع وكادت تقع، وإذا بيد تسندها فرفعت نظرها وهي تحتضن ندى، وإذا بزين يقف أمامها ويمد يده ليحمل ندى عنها وقال:

- يالاً بسرعة العربية مش بعيد.

وأمسك يدها بقوة وهي تشبه لوح الثلج، لقد هربت الدماء منها من هول ما رأت وبدأت تشعر بالأمان وقالت:

- يا زين عايزين مستشفى بسرعة، ندى بتنزف.

وظلت ممسكة بمعصم الصغيرة داخل السيارة إلى أن وصلوا للمستشفى، وقام الطبيب بعمل محضر لأن إصابة ندى بفعل فاعل، فطلبت وداد من زين أن يتخذ الإجراءات مع الدكتور لنقل ندى إلى القاهرة، لابد أن تعرف أمها، وتكون بجانبها، فنفذ ما طلبت واتجها إلى القاهرة في عربة إسعاف وفي الطريق سألته وداد قائلة:

- عرفت مكانا منين، وإزاي أصلاً عرفت؟

رد عليها قائلاً:

- بعد ما إتكلما استغربت من صراحتك، ولكني شعرت بأني محتاج أشوفك تاني قرّرت أستنى جنب البيت يمكن أشوفك والفضول هو اللي جابني وراكم، لكني أخذت وقت عشان أستوعب اللي شفته عشان كده اتأخرت عليك لكني كنت جنبك.

نظرت إليه بخجل, وتبسمت وأعدت نظرها إلى ندى
فشعرت بالألم لأجلها.

وصل بها إلى المستشفى وقامت بالاتصال بمنزلها
وطلبت من رسمية أن تذهب إلى نادية وتخبرها أن
ندى في المستشفى وتعطيها العنوان.

فتحت نادية الباب لتري من الطارق، فوجدت رسمية
لم تعطيها الأخيرة فرصة للترحيب فأخبرتها على الفور
بأن ندى في المستشفى وأعطتها العنوان، فما كان من
نادية إلا أنها قامت باللطم على وجهها، وبدأت في
وصلة من النواح على طفلتها التي لا تعلم ماذا ألمَّ بها
ونسيت وجود زوجها أو هي بالفعل لم تشعر أنها
تحتاج له، وذهبت مسرعة إلى البلكونة وبصوتها
المرتفع, ودموعها التي غمرت وجهها:

- يا عم محمد يا عم محمد.

فخرج من داخل المحل ونظر لها:

- مالك يا بنتي خير في إيه؟

ردّت وهي تخرج الكلام بصعوبة من كثرة البكاء:

- تعالى معايا والنبى ندى في المستشفى.

- لا إله إلا الله، هقفل المحل وانزلي نمشي على طول.

كل هذا وخالد واقف ينظر لها وكأنها لا تراه, مسك بذراعيها بشدة وأوقفها أمامه:

- في إيه فهمينى مين اللي في المستشفى؟ وعم مين اللي بتنادي عليه؟ هو أنا مش مالي عينك إنت مبقيتيش شايفاني ولا إيه.

خرج منها الكلام بصعوبة:

- والنبى يا خالد مش وقته، أطمئن على بنتي الأول وبعدين نتكلم.

وهي متجهة إلى عم محمد قامت برن الجرس على أحمد ابن الجيران وأعطته رقم المصنع، وقالت:

- الله يخليك يا أحمد كلمهم في المصنع وعرفهم إن البت في المستشفى، فاعتذرلي عن الشغل لحد ما أطمئن عليها.

قال أحمد بقلق:

- مستشفى ليه مالها ندى؟

- هكلمك أطمئنك خلي بالك من أخوها الباب مفتوح، سلام عليكم.

كان عم محمد قد استوقف تاكسي ومنتظرًا نادية وتفاجأ بوجود خالد:

- حمد الله على السلامة يا بني.

رد بجفاء وبرود:

- الله يسلمك.

لم يهتم له عم محمد، بل كل تفكيره في الصغيرة، وسأل نادية:

- هو إيه اللي حصل؟

- معرفش يا عم محمد هنعرف لم نوصل.

نظر لها بتعجب ولم يتحدث!

وصلوا الى الغرفة التي بها ندى وكانت وداد وزين بانتظارهم فقالت بلهفة:

- البت مالها يا وداد؟ كانت ماشيه مبسوطه معاكم وزي الفل.

تدخل خالد بالحديث وقال:

- إيه اللي حصل لبنتي؟

قامت نادية بتقديمه لهم وعرفتهم على عم محمد أيضًا على أنه كأبيها.

هنا تكلم زين وشرح لهم ما حدث بالتفصيل، هنا ردد عم محمد:

- لا إله إلا الله، ليه كده يا نادية يا بنتي، ده شرك بالله حرام عليك، البنت كانت وردة مفتحة اللهم الطف بنا.

وما كان من خالد إلا أن صفعها على وجهها وأكمل بصفعةٍ أخرى، هنا وقف عم محمد، وأمسك بيده

- لأ يا خالد يا بني الأمور ما بتتاخدش كده.

- أمور إيه؟ دي بني آدمة مجنونة وضيعت بنتي وربنا يستر على ابني كمان.

لم تدافع أو تحاول تبرر موقفها، ظلّت تبكي إلى أن وقعت على الأرض في حالة إغماء، مالت إليها وداد وذهب زين ليحضر أحد الأطباء ليساعدهم، ووقف عم محمد متحسراً على حالها.

أحضر زين الطبيب وأجلسوها على مقعد وقال:

- الحمد لله ما فيهاش حاجة هي حاله إغماء بسيطة.

بعد أن تماكنت نفسها قالت لوداد:

- عايزه أشوف بنتي.

دخل الجميع الغرفة وكانت ذات العينين الواسعتين والشعر الأملس الذي كان ينسدل على كتفها نائمة، وكان الجميع يحسدها عليه، ووجه المشع براءة ونضارة، السعيدة دائماً والمشاكسة المحبوبة أصبحت تشبه الجثة الهامدة بوجهها الشاحب وجسدها الهزيل.

- السلام عليكم.

التفت الجميع ليروا من القائل، ولكنها لم تكن تتوقع وجوده، فنظرت إليه بضعف وارتباك:

- أستاذ مجدي.. مكنش ليه لزوم.

لم يعر أحداً اهتماماً وقال:

- عيب تقولي كده إنتِ أختنا يا مدام نادية.

نظر خالد لمجدي نظرة تفحص مريبة وقال:

- كتر خيرك ده ظرف عائلي تقدر تتفضّل.

احمرَّ وجه مجدي خجلًا وقال:

- طيب شكرًا، أنا حبيت أطمئن ولو في حاجة أنا في الخدمة، عن إذنتكم.

نظر عم محمد له وقال بضيق:

- ميصحش يا خالد كده.

وخرج عم محمد وراء مجدي وقال:

- متزعلش يا بني الوضع صعب، ورجع امبارح من السفر والنهارده بنته بتموت في المستشفى.

- وهو كان فين لما خايف عليهم أوي، الراجل يهتم بيته وأهل بيته ويهتم بيهم ويحتويهم مش يسيبهم للريح تحدفهم يمين وشمال، يالا ربنا يستر.

لم يجد عم محمد ردًا على كلامه سوى:

- عندك حق يا بني.

دخل الدكتور الغرفة ليطمئن على ندى وليخبر الجميع بحالتها، وقفت نادية بجانب ابنتها وهي واضعة يدها على جبينها وبللت وجه ندى بالدموع، سأل خالد الطبيب:

- طمنا يا دكتور، هي فيها إيه؟

نظر له الدكتور وقال:

- هو انت متعرفش إن في حد قطع وريد إيديها، وإن البنت كانت بين الحياة والموت لولا رحمة ربنا بيها، لكن البنت جالها صرع، والله أعلم هل ممكن يكون مؤقت وفترة وينتهي أو سيكون مستمرًا معها ربنا يشفها لكم.

نظر خالد بآلم إلى ابنته وأعاد نظره إلى نادية وقال:

- دا آخر اللي بئنا.

لم يهتز كيانهما لحديثه، بل أطالت نظرها لابنتها وقام عم محمد بمواساتها فرمت نفسها في حضنه، وقالت

بانهيار:

- بنتي ضاعت وأنا معرفش إزاي عملت كده منك لله يا
منى يا رب متسبنيش أنا ماليش غيرك يا رب يا رب.

ضمها عم محمد وعنياه ممتلئتان بالدموع، وقال: ربنا
مش هيضيعك، ربنا كريم، وقال في كتابه العزيز: ﴿
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾.

أنا معاكي ومش هسيبك.

اقتربت منها وداد:

- أنا عارفه إن أبويا السبب، لكني عملت اللي عليا
وحاربته كتير بسببها، وقلتلها كمان وعرفتها لكن برده
أنا معاكي.

ورد زين:

- وأنا يا ست نادية اعتبريني زي أخوكي وتحت أمرك
في أي وقت.

نظرت لبنتها بألم وقالت:

- كتر خيركم، ادعولي بس ربنا يشفيها، وتقوم
بالسلامة ويسامحني على ذنبي.

خرجت وداد مع زين وقالت:

- أنا مش عارفة من غيرك كنت عملت إيه الحمد لله
إنك كنت موجود ساعتها.

نظر لها وقال:

- يعني إنت كده خلاص مش عايزاني موجود في
حياتك تاني؟

احمرت خجلاً ولم تعلق، وقالت فجأة:

- أنا قلبي واجعني على بابا أعمل إيه؟ أروح الصعيد
تاني؟

لأنا هرّوْحك وهكلم حد من عندي يجيب لنا الخبر من بيت الحاج طه.

وصلت المنزل وقالت:

- طيب متشكرة لتعبك, وطمني.

- ممكن كوباية مياه بعد إذتك.

- حاضر حالاً.

دخلت المنزل وهي تنادي رسمية:

- يا رسمية.

أجابتها الأخيرة قائلة:

- بالراحة عشان بابا جه وتعبان جدّاً جوّه.

لم تنتظر هرولت مسرعة إلى الغرفة وارتمت في حضنه، ولم تستطع أن تمنع دموعها، وتمسك بيديه وتغدقها بالقبلات:

- سامحني يا بابا مكنتش عارفة أعمل إيه؟ أرجو
تسامحني، حقك عليا.

بكي أبو وداد، نعم بكي وقال:

- سامحوني انتم يا ولادي ظلمتكم كثير، الحمد لله
واللي انتي عملتيه هو الصح بس كنت قوية وشجاعة
زي أبوكي ابوداد اللي يتهاب ولا يهاب.

قالت:

- ثاني يا بابا.

ضحك والدموع في عينه، وقالت:

- انت بتعيط يا حبيبي.

- لأ يا وداد الجبل بيتهد في يومه، وأنا لسه يومي
مجاش.

صرخت:

- كفايه عايزين نعيش.

- هنعيش بس لما ألاقي عامر الندل اللي غدر بيا
وسابني لولا صفوت رجع ثاني عشاني كنت مت من
النزيف, وهو هرب الندل وهو السبب في الدمار اللي
حصل.

- كفايه يا بابا ربنا يسامحك على اللي عملته فينا وفي
ندى دي بين الحياة والموت كفاية.

- والله يا وداد أنا حبتها ومكنش قصدي.

- يا وداد في واحد مستنيكي برا.

وبرغم شدة الألم التي تضرب بجسد أبي وداد لكنه
تحدث بقلق:

- واحد مين يا رسمية؟

ردّت وداد مسرعة:

- يا نهاري نسيت زين بره، وهو اللي ساعدني أنا وندى.

- طيب خليه يتفضل، اندهي له والنبي يا رسمية.

- السلام عليكم يا عمي الحمد لله إنك بخير.

- أنا اللي مش عارف أقولك إيه يا زين على اللي عملته ده جميل في رقبتى ولازم نتغدا سوى عشان يبقى عيش وملح كمان.

ابتسم زين وقال:

- مقدرش أكسر لك كلمة.

نظرت له وداد وقالت:

- دا انت جعان بأه؟

قال زين:

- بلاش إحراج انتوا اللي جوعتوني من جريي وراكم.